مكية

سورة الكهف

ترتيبها ١٨ | آياتها ١١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾

الثناء الحسن، والحمد الجزيل، والشكر التام أوله وآخره لله وحده، الذي أكرم عبده ورسوله محمدًا ﷺ بإنزال القرآن عليه، ولم يجعل فيه ميلاً عن الحق، ولا انحرافًا عن العدل والصدق.

﴿٢﴾ ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾

والله جعل القرآن كتابًا مستقيمًا لا تعارض فيه ولا تناقضَ بل هو محكم تام كامل؛ ليخوِّف الكفار عذاب النار وعقاب الواحد القهار، ويبشِّر من آمن وعمل صالحًا بالثواب الجزيل والأجر الجليل في جنات النعيم.

﴿٣﴾ ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾

ليبقى المؤمنون في نعيم الجنة دائمًا خالدين مخلدين في دارٍ كريمة ونعم عميمة.

﴿٤﴾ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾

ويخوِّف القرآن الكفار ويحذِّرهم عذاب الله وغضبه، وهم القائلون بأن لله ولدًا، تعالى الله عن ذلك وتقدّس وتنزَّه.

﴿٥﴾ ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

ليس عند هؤلاء الكفار علم بما نسبوه إلى الله من اتخاذ الولد تقدَّس عن ذلك، مثلما لم يكن عند أسلافهم الذين اتبعوهم علم بذلك، عظمت هذه الكذبة الفظيعة الشنيعة التي قالوها بأفواههم، ما قالوا إلا كذبًا وافتراءً وزورًا.

﴿٦﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾

فلعلك - أيها الرسول - تهلك نفسك بالغم والحزن بسبب إعراض قومك وتكذيبهم بهذا القرآن.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

إن الله جعل ما على وجه الأرض من مخلوقات شتى من جبال ووهاد، وأشجار وأنهار ونحوها جمالاً للأرض ومنفعة لأهلها؛ ليمتحن الله شكرهم بذلك، أيهم أحسن طاعة لله وأصوب عملاً صالحًا بإخلاصه لله، ومتابعته لرسول الله ﷺ.

﴿٨﴾ ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾

وإن الله سوف يُصيِّر ما على وجه الأرض بعد انتهاء العالم ترابًا لا نبات فيه ولا زينة ولا جمال.

﴿٩﴾ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾

لا تظن - أيها النبي - أن قصة أصحاب الكهف واللوح الذي سُطِّرت فيه أسماء الفتية عجيبة وغريبة على قدرة الله، فقدرة الله أكبر والله لا يتعاظمه شيء.

﴿١٠﴾ ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

وتذكر يوم دخل الشبان المؤمنون إلى الغار هربًا من أذى قومهم لئلا يردوهم عن الإيمان إلى عبادة الأوثان وطاعة الشيطان، فدعوا ربهم وقالوا: يا ربنا أعطنا رحمة من عندك تثبتنا على الإيمان وتحفظنا من شر الإنس والجان،

ووفقنا لطريق الاستقامة والسداد في كل الأمور؛ لنعمل لطاعتك ونجتنب معصيتك، فنكون راشدين مهديين غير غاوين ولا ضالين.

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾

فألقى الله على الفتية النوم الثقيل، فبقوا سنين كثيرة في الغار في هيئة الرقود.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾

ثم أيقظ الله الشبان من النوم؛ ليعلم - سبحانه - أي الجماعتين المختلفتين في عدد بقائهم أيها أعرف بالحساب؟ وهل بقوا في الغار يومًا أو بعض يوم، أو مدةً طويلة؟

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾

الله يخبرك - أيها النبي - بقصة أهل الغار بالصدق واليقين، فهم شبان وحَّدوا ربهم وأطاعوه فزادهم هدىً ويقينًا وثباتًا على الحق.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾

وقوى الله قلوب الشبان بالإيمان وثبَّتهم بالعزيمة حين وقفوا أمام السلطان الجبار وهو يلومهم على ترك عبادة الأوثان وعبادتهم للرحمن، فردوا عليه بقولهم: الله ربنا الذي نوحِّده هو الذي خلق السموات والأرض، لن نعبد سواه ولن نوحِّد غيره، ولو قلنا غير هذا القول لكنا كذبنا فيما قلنا وخالفنا الصواب وضللنا عن الحق.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾

وقال بعض الفتيان المؤمنين لبعض: قومنا هؤلاء عبدوا غير الله وأشركوا معه غيره في العبادة فلماذا لم يأتوا بدليل واضح على فعلهم المشين هذا؟ فليس عندهم برهان ولا حجة، فهم كاذبون مفترون، ولا يوجد أشد ظلمًا ممن اختلق الكذب على ربه بالإشراك به وعدم توحيده، والخروج عن طاعته.

﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾

وما دمتم فارقتم قومكم ومعبوديهم جميعاً إلا الله، ففارقوهم بأبدانكم والتجئوا إلى الغار للعزلة بدينكم والفرار من الفتن، يوسع الله عليكم من رحمته ما تنالون به خيري الدنيا والآخرة، وييسر لكم كل عسير، ويسهل ما تحتاجون إليه من أسباب الحياة.

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾

فلما امتثلوا أمر الله ألقى الله عليهم النوم فناموا، فلو رأيتهم لرأيت الشمس إذا طلعت من المشرق مالت عنهم ناحية اليمين، وإذا غربت مالت عنهم إلى ناحية اليسار، وهم في سعة من الغار فلا يتأذون بحرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء، وهذا الذي سخَّره الله لهؤلاء الشبان دليل على تمام قدرته، فإن من يرشده الله إلى الحق فهو الراشد حقًا، ومن يكتب عليه الغواية فلن تجد له معينًا يدله على سبيل الهداية؛ لأن التوفيق والخذلان بيد الله وحده.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾

وتظن يا من يرى أهل الغار أنهم أيقاظ وليسوا بنيام، والله - سبحانه - يتولاهم بالرعاية فيقلبهم وهم رقود مرة للجنب الأيمن، ومرةً للجنب الأيسر حتى لا تأكل أجسامهم الأرض، وترى كلبهم الذي كان معهم في خارج الغار قد مدَّ ذراعيه، لو أبصرتهم حقيقة لأدبرت هاربًا من الخوف، ولملئت نفسك فزعًا وجزعًا من هول ما شاهدت.

﴿١٩﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾

ومثلما أنامهم الله وحفظهم هذا الزمن الطويل أيقظهم على حالتهم ولم يتغير منهم شيء حتى يسأل بعضهم بعضًا: كم من الزمن قضيناه هنا راقدين؟ فردَّ بعضهم: بقينا يومًا أو جزءًا من يوم، وقال بعضهم: ردوا العلم لله - عز وجل - وحده فهو الأعلم بالزمن الذي بقيناه، فأرسلوا واحدًا منا بدراهمنا من الفضة إلى مدينتنا فليتحرَّ الطعام الطيب الحلال فيشتري لنا قوتًا منه، وليحسن التعامل مع البائع بلطف؛ حتى لا ينكشف أمرنا ولا يخبر من لقي بحالنا.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾

إن قومنا إذا علموا بحالنا رمونا بالحجارة فيقتلوننا أو يردوننا إلى دينهم الباطل، ولن ننال ما أردنا من الفوز بالجنة والنجاة من النار إذا عدنا لدين الكفار.

﴿٢١﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾

ومثلما ألقى الله عليهم النوم سنين كثيرة، وحفظهم على حالهم ولم يتغير منهم شيء وأيقظهم من نومهم، أطلع عليهم قومهم لحكمةٍ أرادها؛ لأن البائع عرف الدراهم التي جاء بها المشتري من أصحاب الكهف؛ حتى يتيقن قومهم أن الله قدير على بعث الناس بعد الموت، وأن القيامة واقعة لا محالة، إذ يختلف قومهم من الكفار في مسألة القيامة بين مصدق ومكذب، فجعل الله إيقاظ أهل الكهف دليلاً للمصدق بالبعث على المكذب به، وبعد أن ظهر أمر أصحاب الكهف وأيقظهم الله، أماتهم الله في مكانهم، حينها قالت جماعة من قومهم أغلقوا باب الغار ببناءٍ عليهم فالله وحده يعلم حالهم، وقال أهل السلطة والأمر والنفوذ: سوف نبني على مكانهم مسجدًا للعبادة، ولقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «لعن الله من اتخذ القبور مساجد». ونهى أمته عن ذلك، كما نهى عن البناء على القبور مطلقًا، وعن تجصيصها والكتابة عليها، ولعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ لما فيه من الغلو المحرم المذموم الموصل بصاحبه إلى الشرك بالله وعبادة غيره.

﴿٢٢﴾ ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ۖ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ۖ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾

سوف يقول بعض الناس الذين اختلفوا في عدد أهل الكهف: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، والقولان لا دليل عليهما، فهما مبنيان على الظن فحسب، ومنهم من يقول: هم سبعة وثامنهم كلبهم، قل - أيها النبي -: الله وحده أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا القليل من الناس من أهل العلم، فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالاً يسيرًا ظاهرًا لا عمق فيه يورث الخلاف، ويكفي أن تقص عليهم ما جاءك من أخبارهم عن طريق الوحي، ولا تسأل أهل الكتاب عن قصة أصحاب الكهف وحالهم وعددهم، فإنهم جهلاء لا علم عندهم، أو عند بعضهم علم لكنه يكتمه.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾

وإذا أردت أمرًا وعزمت على فعله فلا تقل سوف أفعله غدًا حتى تعلّقه بمشيئة الله.

﴿٢٤﴾ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾

فتقول إن شاء الله، فإنه إذا لم يشأ الله لا يكون هذا الأمر، واذكر ربك عند النسيان بقول: إن شاء الله، وعليك بذكر الرحمن، فإنه يذهب النسيان عن الإنسان، وادعُ ربك عسى أن يهديك إلى أقرب وأيسر السبل الموصلة إلى الحق والهدى والفلاح.

﴿٢٥﴾ ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾

وبقي الشبان نيامًا في الغار ثلاث مئة وتسع سنين لم تغيرهم الأرض، وهي من أعظم الأدلة على قدرة الله ونفوذ مشيئته.

﴿٢٦﴾ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾

وإذا سألك سائل - أيها النبي - عن مدة بقاء الشبان في الغار وليس عندك وحيٌ من الله فلا تتقدم بجواب حتى يخبرك الله، بل قل: الله وحده أعلم بمدة بقائهم في الغار، فهو المطلع على غيب السموات والأرض، وأعجَبْ من كمال بصر الله وسمعه وعظيم اطلاعه، وتمام علمه بكل شيء، ليس للخلق أحدٌ يتولى أمورهم ويرعى شؤونهم غير الله وحده لا شريك له في حكمه وشرعه، كما أنه لا شريك له في ألوهيته وربوبيته سبحانه وتعالى.

﴿٢٧﴾ ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾

واتل - أيها النبي - ما أوحاه الله إليك من القرآن، واتبع ما جاء فيه فإنه الكتاب الذي لا تبدل كلماته ولا تتغير آياته، ولا تبطل معجزاته؛ لصدقه في الأخبار، وعدله في الأحكام، ولن تجد من تلجأ إليه وقت الأزمات والملمات غير الله أحدًا، فبه فاعتصم وعليه فتوكل.

﴿٢٨﴾ ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾

واصبر نفسك - أيها النبي - مع الفقراء من المسلمين الذين يخلصون لربهم العبادة ويذكرونه ويدعونه في الصباح والمساء، يبتغون ما عنده من الثواب ويحذرون ما لديه من العذاب، والزم مجالسهم، وعليك بصحبتهم؛ فالخير والبركة معهم، ولا تحوِّل نظرك وحفاوتك عنهم إلى غيرهم من أعداء الله الكفار من أجل حطام الدنيا الزائل وزينتها الفانية، ولا تطاوع من جعل الله قلبه غافلاً عن ذكره وشكره لاهيًا عن عبادته مصروفًا عن طاعته وآثر الهوى، على الهدى وأصبحت كل شؤون حياته ضياعًا وباطلاً.

﴿٢٩﴾ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

وقل - أيها الرسول - للكفار: إن الذي أتيت به من عند الله من وحي هو الحق الذي لا باطل فيه، فمن أراد التصديق والاتباع فليفعل، فله الثواب العظيم والنعيم المقيم، ومن أراد التكذيب والإعراض فليفعل فما ضرَّ إلا نفسه بإيرادها موارد الهلاك، إن الله هيأ للكفار نارًا محرقة تحيط أسوارها بالكفار، وإذا طلب الكفار الماء في النار للشرب من شدة العطش يعطون ماء كالزيت المغلي، يحرق وجوههم من شدة حرارته، قُبِّحَ هذا الزيت الحار شرابًا للكفار في النار، وقبحت النار منزلاً للأشرار ودارًا للفجار.

﴿٣٠﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

إن المؤمنين الصالحين لهم الثواب الجزيل من الرب الجليل، لا يذهب ثواب ما عملوه ولا يضيع أجر ما كسبوه، بل لهم الأجر كاملاً بأحسن ما عملوا.

﴿٣١﴾ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

هؤلاء المؤمنون لهم عند الله جنات خالدون فيها منعمون أبدًا، تجري فيها الأنهار من تحت القصور والدور والأشجار، يتجملون فيها بأساور الذهب في أيديهم، ولباسهم ثياب خضرٌ جميلة من رقيق الحرير وغليظه، وهم متكئون في

الجنة على المجالس الوثيرة والفرش الناعمة، نعم الأجر أجرهم عند ربهم، وحسنت الجنة لهم مقامًا في نعيم وأمان، وفي جوار الرحمن.

﴿ ٣٢ ﴾ ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴾

واضرب - أيها النبي - للكفار مثلاً برجلين فيما سلف من الأيام، مؤمن وكافر، وقد جعل الله للكافر حديقتين من أعناب، وسوَّرهما بنخل ملتف كثير، وأنبت الله وسط الجنتين زروعًا بأنواع الثمار والحبوب.

﴿ ٣٣ ﴾ ﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴾

كل واحدة من الحديقتين أطلعت بثمرها ولم ينقص من ثمرها شيء، وجعل الله بين الحديقتين نهرًا عذبًا للشراب، وسقي الحديقتين.

﴿ ٣٤ ﴾ ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾

وكان للكافر صاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن في أثناء محاورته له بكبر وغرور: مالي أكثر من مالك، وأنصاري وأتباعي أقوى وأشرف من أنصارك وأتباعك.

﴿ ٣٥ ﴾ ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴾

ودخل الكافر حديقته وهو ظالم لنفسه بالشرك بالله والتكذيب بيوم القيامة، فأعجب بالحديقة وقال: ما أعتقدُ أن تهلك حديقتي مدة الحياة، تكذيبًا منه بقدرة الله تعالى.

﴿ ٣٦ ﴾ ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾

وما أعتقد أن الساعة آتية، ولو حصل أنها قامت وعدتُ إلى الله بعد الموت فسوف ألقى عند الله أفضل من حديقتي لشرفي وارتفاع قدري.

﴿ ٣٧ ﴾ ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾

فردَّ عليه الرجل المؤمن ناصحًا له قائلاً: كيف تكفر بالله وهو الذي خلق أباك آدم من تراب، ثم صورك من ماء مهين، ثم سواك في أحسن تقويم على صورة إنسان حسن القامة، معتدل الخلق، والقادر على إنشاء الخلق قادرٌ على إعادتهم بعد الموت.

﴿ ٣٨ ﴾ ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾

وأنا لا أقول بما تقوله من تكذيب بالبعث والنشور، وكفران النعم وإنما أقول الله وحده الخالق الرازق المتفضل المنعم لا أشركُ به شيئًا ولا أعبدُ سواه.

﴿ ٣٩ ﴾ ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾

وهلاَّ يوم رأيت حديقتك فأعجبك جمالها وحسنها قلت: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فبمشيئة الله حصلت لك، وبقوته استطعت تحصيلها والقيام عليها، وإذا كنت أنا أقلَّ منك في المال والأبناء.

﴿ ٤٠ ﴾ ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾

فالله قادرٌ على أن يرزقني أكثر مما أعطاك؛ لشكري له، وقادر أن يسلب ما أنعم به عليك؛ لكفرك، وينزِّل من السماء على حديقتك نارًا تحرقها وتصبح يابسة جرداء صحراء لا تثبت فيها قدم.

﴿ ٤١ ﴾ ﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴾

ولا ينبع فيها ماء ولا تستطيع إخراجه من باطنها، فقد جف الماء من ظاهرها، وغار من باطنها.

﴿٤٢﴾ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾

ووقع ما حذر منه المؤمن، فأهلك الله الحديقة، وأحرق ما فيها، فقلَّب الكافر كفيه متحسرًا متندمًا على ما صرف فيها من أموال وقد تهدَّم بعضها على بعض، وقال: يا ليتني شكرتُ ربي بتوحيده وإفراده بالعبادة وعدم الإشراك به، وقد فات وقت الندم بعد ما زلَّت به القدم.

﴿٤٣﴾ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾

ولم توجد للكافر طائفة تنصره ممن كان يفتخر بهم ويعدهم للأزمات ليمنعوه مما نزل به وبحديقته تخلوا عنه، ولم يستطع هو أن يدافع عن نفسه لضعفه وعجزه.

﴿٤٤﴾ ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

وعند وقوع المحن وحلول الكوارث تكون القوة والقدرة والولاية والنصرة لله وحده، وهو خير من يثيب الطائعين، وعاقبته لأوليائه أفضل عاقبة من النصر والتمكين.

﴿٤٥﴾ ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾

واضرب - أيها النبي - للبشر حال الدنيا التي انخدعوا بزخرفها واغتروا بلهوها ولعبها، فمثلها في حالها وسرعة زوالها وجفائها وعدم وفائها وغدرها لأصفيائها؛ كمثل ماءٍ أنزله الله من السماء فأنبت به نباتًا مخضرًا نضرًا زاهيًا بهيجًا، وما هو إلا زمن قليل حتى تحول إلى عيدان وحطام يابسٍ متكسِّر تنثره الرياح، وتعبث به في كل جهة، والله على كل شيء قادر، غلب بأمره على ما أراد، فلا مانع لحكمه ولا راد.

﴿٤٦﴾ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

الأموال والأولاد حسن وجمال للحياة الدنيا الزائلة ولكن المال يفنى والأولاد يموتون والدنيا تنتهي وتبقى الأعمال الصالحة ومن أفضلها التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل وهي أفضل أجرًا عند الله من الأموال والأولاد وهي أحسن ما ينتظره الإنسان وما يرجوه من الثواب عند الله فيحصل له بها النعيم المقيم في الآخرة.

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾

واذكر للناس يوم يزيل الله جبال الدنيا عن مواقعها وتشاهد الأرض وهي بادية ليس عليها ما يحجبها عن الأنظار، وجمع الله الخليقة يوم القيامة فلم يترك منهم أحدًا بل أحضرهم جميعًا.

﴿٤٨﴾ ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۖ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾

وعُرض الخلق كلهم على الله وهم صفٌ لا يستر بعضهم بعضًا، لقد عادوا إلى الله يوم القيامة كما خرجوا من بطون أمهاتهم لا مال ولا ولد معهم، ولا شيئًا من متاع الدنيا بل ظنوا أن الله لن يجعل لهم موعدًا يبعثهم ويحاسبهم فيه.

﴿٤٩﴾ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

ووضع الكتاب الذي فيه أعمال كل إنسان من حسن وسيء فآخذ كتابه بيمينه أو بشماله، وتشاهد الفجار العصاة خائفين وجلين؛ لأجل ما فعلوه من شرور وآثام، ويقولون حين يبصرون الكتاب: يا خيبةً لنا ويا حسرتنا ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة مما عملناه، ولا كبيرة إلا حفظها وسطرها، وأبصروا فيه كل عمل عملوه في الدنيا مكتوبًا محفوظًا ولا يظلم ربك عبدًا من عباده مثقال ذرة، فلا ينقص من حسنات المطيع ولا يزيد من سيئات العاصي.

﴿٥٠﴾ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾

واذكر يوم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود تحية لا عبادة، وأمر الله إبليس بذلك أيضًا فامتثل الملائكة وأطاعوا وسجدوا كلهم، وعصى إبليس أمر الله ولم يسجد لآدم وكان إبليس من الجن فخرج عن طاعة الله وأبى السجود كِبْرًا وحسدًا أفترضون به أيها الناس هو وذريته أولياء لكم من دون الله تطيعونهم وتتبعونهم وهم أعظم عدو لكم قبحًا لطاعة إبليس وأعوانه بدلاً من طاعة الله عز وجل.

﴿٥١﴾ ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

لم يُحْضِر الله إبليس وأعوانه خلق السموات والأرض، ولم يستعن بهم على إنشائهما ولا أشهد الله بعضهم على خلق بعض، بل تفرد الله بالخلق والإنشاء وحده، ولم يستعن بأحد ولم يشاور أحدًا، وما كان الله ليتخذ أهل الضلال من الشياطين وأعوانهم أعوانًا ومساعدين له - جل في علاه - فهو المتفرد الغني القوي فكيف تصرفون لهم شيئًا من العبادة وتتولونهم من دون الله، والله هو الخالق وحده دونما سواه.

﴿٥٢﴾ ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾

واذكر يوم يقول الله للكفار يوم الدين: نادوا الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة ليدفعوا عنكم العذاب، ولينصروكم هذا اليوم، فنادوهم فلم يجيبوهم، وجعل الله بين المشركين وبين آلهتم التي عبدوها من دون الله مهلكًا في نار جهنم يهلكون فيه كلهم.

﴿٥٣﴾ ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾

وشاهد الفجار النار فعلموا علم اليقين أنهم داخلون فيها لا محالة، ولم يجدوا عن النار طريقًا يصرفهم عنها.

﴿٥٤﴾ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

ولقد بيّن الله في كتابه لعباده أمثلة كثيرة من كل ماينفعهم ليعتبروا بهذه الأمثال ويتعظوا بها، وكان الإنسان أكثر الخليقة مخاصمةً ومجادلة.

﴿٥٥﴾ ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾

وما صرف الناس عن الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ وطلب المغفرة من الله لذنوبهم إلا مكابرة للرسول ﷺ وعنادًا له وسؤالهم أن يصيبهم الله بما أصاب من كان قبلهم من المكذبين، أو يوقع بهم عقاب الله عيانًا وهذه سنة الله في كل من كذب بالرسل.

﴿٥٦﴾ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ﴾

وما يبعث الله الرسل إلى العباد إلا ليبشروا من آمن بالجنة، وينذروا من كفر بالنار، والكفار مع وضوح الأدلة وظهور البراهين، يخاصمون بالباطل عنادًا وبغيًا ليردوا بباطلهم الحق المنزل على الرسول ﷺ، واتخذ الكفار كتاب الواحد القهار وحجج العزيز الغفار وما خُوِّفوا به من عذاب الجبار سخرية واستهزاءً.

﴿٥٧﴾ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾

وليس في العالم أحدٌ أشد ظلمًا ممن نُصح ووُعِظَ بآيات الله البينة فأبى الامتثال وأعرض عن الاستجابة ونسي ما فعل وما اقترفته يداه من الأعمال الشنيعة فلم يتب منها، إن الله جعل على قلوب الكفار أغطية فلم ينتفعوا بالقرآن،

ولم يفهموه، وجعل الله في آذانهم صممًا فلم يسمعوا الهدى، ولم ينتفعوا بالموعظة، وإن تَدْعُ الكفار -أيها الرسول- إلى الإيمان فلن يستجيبوا لك، ولن يتبعوك أبدًا؛ لأن الله كتب عليهم الضلال.

﴿٥٨﴾ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾

وربك الغفور لذنوب العباد إذا عادوا إليه وتابوا من ذنوبهم، وهو ذو الرحمة الواسعة يمهل العصاة، ويقبل من عاد إليه ودعاه، ولو يعذب الله الكفار بما فعلوه من الآثام والسيئات لعجَّل لهم في الدنيا العذاب، ولكن الله يمهل ولا يهمل، حليم لا يعجل بالعقوبة بل للكفار موعد يوم القيامة يحاسبون فيه على أعمالهم لا راد لذاك اليوم، ولا محيد عنه ولا مندوحة منه.

﴿٥٩﴾ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾

وهذه القرى المجاورة لكم كقرى قوم هود وصالح ولوط وشعيب دمَّرهم الله وأبادهم حين كفروا به، وكذبوا رسله، وجعل الله لعذابهم وقتًا محددًا وأجلاً معلومًا فلما حان الوقت وحل الأجل أخذهم الله بالعذاب.

﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾

واذكر حين قال موسى - عليه السلام - لخادمه يوشع بن نون: لا أزالُ أسير في الأرض وأواصل السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير دهرًا طويلاً حتى ألتقي بالعبد الصالح؛ لأطلب العلم عنده، وهو علم عند الخضر ليس عند موسى مما علمه الله تعالى.

﴿٦١﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾

وواصل موسى ويوشع السير فلما وصلا ملتقى البحرين قعدا عند صخرة ونسيا الحوت الذي وصى موسى يوشع أن يأخذه معه زادًا لهما فجعله يوشع في مكتل فإذا الحوت يصبح حيًا بإذن الله، وينطلق من المكتل إلى البحر ويسبح في البحر فيشق له في الماء طريقًا مفتوحًا.

﴿٦٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾

فلما مشيا وتركا المنزل الذي نسيا فيه الحوت جاع موسى فطلب الغداء من يوشع؛ لأنه تعب من عناء السفر.

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾

قال يوشع لموسى: لقد أنساني الشيطان أن أخبرك بأن الحوت لما جلسنا عند الصخرة قد دبت فيه الحياة وخرج من المكتل إلى البحر وشق له في الماء طريقًا، وهذا مما يثير التعجب.

﴿٦٤﴾ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾

قال موسى: إن هذا ما كنتُ أطلبه فإن ضياع الحوت علامة لي على منزل الرجل الصالح وقد وقعت العلامة، فعادا يلتمسان آثار أقدامهما حتى وصلا الصخرة.

﴿٦٥﴾ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾

فوجد موسى ويوشع الرجل الصالح وهو الخضر ﷺ جمع الله له بين الرحمة وبين العلم النافع، فالرحمة معها الرفق والحلم واللين والصبر، والعلم معه القوة ونفاذ البصيرة وتمام الحكمة.

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

فبعدما حيَّاه موسى قال له: أطلب إليك أن تأذن لي بمصاحبتك لأنتفع بعلمك وأسترشد به.

﴿٦٧﴾ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾

فقال الخضر لموسى: إنك لا تستطيع أن تصبر على صحبتي والتعلم مني؛ لأنه سوف يظهر لك أمور لها أسرار لن تسكت عنها!

﴿٦٨﴾ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾

وكيف تستطيع الصبر على أمور باطنها غير ظاهرها، وأنت لا تعلم مقاصدها.

﴿٦٩﴾ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾

فقال له موسى: بل سوف أصبر إن شاء الله ولا أعصيك فيما أمرتني به، فلك مني الصبر وطاعة الأمر.

﴿٧٠﴾ ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

فقبل الخضر من موسى الصحبة، وأوصاه بأن لا يسأله عما أشكل عليه حتى يبيّن له الخضر ما خفي عليه من أمور دون أن يسأل موسى.

﴿٧١﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾

فمشى موسى والخضر على الساحل فوجدا سفينة فركبا فيها بلا أجرة تفضلاً من أهل السفينة عليهما، فأخذ الخضر لوحًا من السفينة فصار فيها ثقب كادت السفينة أن تغرق بسبب دخول الماء منه، فأنكر عليه موسى وقال: قوم حملونا بلا أجرة ثم خرقت سفينتهم؛ لتغرق من بها هذا فعل منكر لا يُصبر عليه!!

﴿٧٢﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾

فذكَّره الخضر وقال له: أما قلتُ لك في بدء الأمر: إنك لن تستطيع صحبتي، ولن تصبر على مرافقتي؟!

﴿٧٣﴾ ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾

فاعتذر موسى وقال: اعف عني فقد نسيت الشرط الذي بيننا وارفق بي في التعليم ولا تشق عليَّ في الإنكار، وأريد منك الصبر والعذر.

﴿٧٤﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾

فعذر الخضر موسى ثم واصلا السير في السفينة، ولما وقفا على الساحل شاهدا غلامًا يلعب مع أقرانه، فقتله الخضر، فقال موسى منكرًا على الخضر فعله: كيف تقتل نفسًا بريئة طاهرةً لم ترتكب ما يوجب القتل؟! لقد فعلت منكرًا عظيمًا، وإثمًا شنيعًا.

﴿٧٥﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾

قال الخضر لموسى يذكره بما اشترط عليه: ألم أقل لك من قبل إنك لن تستطيع أن تصبر على ما ترى من أفعالي التي لا تعلم أسرارها؟!

﴿٧٦﴾ ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾

فقال موسى للخضر: إن سألتك عن أمر من الأمور بعد هذه المرة فلا تصحبني فلم تقصر في شأني وأنت معذور؛ لأنك أخبرتني من قبل أنني لا أستطيع الصبر معك.

﴿٧٧﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾

فواصل موسى والخضر السير حتى دخلا على أهل قرية فسألا أهل القرية طعامًا من طعام الضيافة، فامتنع أهل القرية من إطعام موسى والخضر، ثم وجد موسى والخضر جدارًا يوشك أن يسقط، فبناه الخضر فسوى ميله، فتعجب موسى من هذا الصنيع، وقال للخضر: ليتك أخذت أجرةً على عملك في الجدار لنشتري بها طعامًا وقد منعونا الضيافة.

﴿٧٨﴾ ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

قال الخضر لموسى: حان وقت الفراق وانتهت الصحبة، وقبل أن تذهب سوف أخبرك بما أنكرته عليَّ من أفعال لم تدرك مقاصدها، ولم تعلم أسرارها، فلم تصبر على السكوت!! وترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

﴿٧٩﴾ ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

أما خبر السفينة التي نزعتُ منها لوحًا فإنها كانت مُلْكًا لقومٍ من المساكين يبحثون عن الرزق عليها في البحر، فأردتُ أن أُظهر فيها عيبًا؛ لأن أمامهم ملكًا ظالمًا يستولي على كل سفينة سليمة من العيوب غصبًا، فإذا رأى هذه السفينة معيبة تركها.

﴿٨٠﴾ ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾

وأما الغلام الذي قتلته فقد نشأ كافرًا، وأبوه وأمه مؤمنان، فلو تركتُ الغلام حيًا لتسبب في كفر والديه؛ لمحبتهما إياه أو إنهما محتاجان إلى منفعته.

﴿٨١﴾ ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

فأردنا أن يعوِّض الله والديه خيرًا منه في الصلاح والاستقامة وبرهما.

﴿٨٢﴾ ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

وأما الجدار الذي بنيته وقوَّمتُه حتى استقام فإنه كان ملكًا لغلامين يتيمين من أهل تلك القرية، وكان تحت الجدار ذهب وفضة لليتيمين، وأبوهما كان من الأتقياء الصالحين، فأراد الله أن يكبر الغلامان ويبلغا سن الرشد ثم يستخرجا الذهب والفضة من تحت الجدار؛ لطفًا من الله بهما، وأنا لم أفعل ما فعلته من عند نفسي، ولكن بإذن من الله وأمر، وهذا الذي ذكرته هو بيان ما خفي عليك من أسرار تلك الأفعال، ومقاصد الأمور التي لم يظهر علمها لك، فلم تصبر على ترك السؤال ولم تترك الإنكار عليَّ.

﴿٨٣﴾ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾

ويسألك الكفار - أيها النبي - عن قصة الملك الصالح ذي القرنين، فأجبهم بأنك ستخبرهم عنه بخبر صحيح يكون عبرةً وعظةً لهم.

﴿٨٤﴾ ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾

إن الله مكَّن لذي القرنين في الأرض، وأعطاه مما يحتاج إليه في مملكته من الأسباب والوسائل والأساليب التي يدبر بها شؤون بلاده ويفتح بها المدن وينتصر على الأعداء.

﴿٨٥﴾ ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾

فأخذ بتلك الوسائل واستعمل تلك الطرق بجد وقوة وهمة واجتهاد.

﴿٨٦﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾

فلما وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس وجدها بالنسبة إلى رؤية العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغرب الشمس بشرًا، فأمره ربه إما أن يعذبهم بالقتل أو بالأسر والسبي إذا لم يؤمنوا بالله، وإما أن يأخذهم بالتي هي أحسن من الدعوة إلى الهدى بالرفق والحلم.

﴿٨٧﴾ ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾

قال ذو القرنين: أما من كفر بالله فسوف أعاقبه في الدنيا ثم إذا عاد إلى الله يوم القيامة عذبه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها.

٨٨ ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

وأما من آمن بالله واتبع رسله وأطاع أمره واجتنب نهيه فله عند الله جنات النعيم، وسوف نكرمه في الدنيا، ونرفق به ونسدي إليه خيرًا.

٨٩ ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾

ثم عاد ذو القرنين إلى المشرق آخذًا لما أعطاه الله من وسائل وأسباب بجد واجتهاد.

٩٠ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾

فلما وصل ذو القرنين إلى مطلع الشمس وجد هناك قومًا ليس لديهم ساترٌ يحجب عنهم حرارة الشمس ولا شجر يظلهم منها.

٩١ ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾

وكذلك قد اطلع الله على ما عند ذي القرنين من الوسائل والأسباب، وعلم - سبحانه - بكل ما عنده، لا تخفى عليه خافية سبحانه.

٩٢ ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾

ثم واصل ذو القرنين المسير مستعملاً ما وهبه الله من قوة وعدة وعتاد، بهمة وصبر.

٩٣ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾

فلما وصل ذو القرنين إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما خلفهما وجد من دون الجبلين أناسًا لهم لغة خاصة بهم، لا يكادون يفهمون كلام سواهم.

٩٤ ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾

فقالوا له: يا ذا القرنين، إن قبيلتي يأجوج ومأجوج يفسدون في الأرض بالقتل والأسر والظلم والاستيلاء على أموال الناس غصبًا، ويقطعون السبيل، فهل نجمع لك من عندنا مالاً أجرةً لك مقابل بناء حاجز عظيم يحول بيننا وبين يأجوج ومأجوج.

٩٥ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾

قال ذو القرنين: الذي رزقنيه الله من الملك والمال أفضل مما عندكم، لكن ساعدوني بقوة أيديكم لأبني بينكم وبينهم سدًا منيعًا يمنع أذاهم عنكم.

٩٦ ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾

هاتوا لي قطع الحديد واجمعوها لي، فلما أحضروا الحديد ووضعوا بعضه على بعض وحاذوا به جانب الجبلين، قال لأعوانه: أشعلوا نارًا عظيمة فلما ذاب الحديد قال لأعوانه أعطوني نحاسًا أفرغه عليه ليكون أصلب وأقوى.

٩٧ ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾

فما قدرت يأجوج ومأجوج أن تعلو فوق السد؛ لارتفاعه، وما قدرت أن تخرق السد من أسفله؛ لقوته ورسوخه في الأرض.

٩٨ ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾

قال ذو القرنين: هذا الحاجز الذي جعلته مانعًا من أذى يأجوج ومأجوج من رحمة الله بي وبالناس الذين طلبوا مني ذلك؛ لما فيه من الخير ودفع الشر، فإذا حان وقت القيامة فسوف يهدمه الله ويسويه بالأرض، ووعد الله واقع لا محالة، والله لا يخلف المعياد.

٩٩ ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾

وترك الله يأجوج ومأجوج يختلط بعضهم ببعض؛ لكثرتهم، فإذا نُفخ في القرن للبعث والنشور، جمع الله الخليقة بأسرها للحساب والجزاء.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾

وأبرز الله نار جهنم للكفار في العرصات، وأظهرها ليشاهدوا مصيرهم وعاقبة كفرهم.

﴿١٠١﴾ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾

هؤلاء الكفار كانت أعينهم في الدنيا في غطاءٍ عن ذكر الله، فلا تنظر إلى آياته نظر تدبر واعتبار، ولا تطيق أن تسمع آيات الله الدالة على الإيمان به وبرسله.

﴿١٠٢﴾ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾

أفيظن الكفار أنهم سوف يتخذون عباد الله آلهةً يعبدونها من دون الله؛ ليكونوا أولياء لهم يجلبون لهم النفع، ويدفعون عنهم الضر، إن الله هيأ نار جهنم للكفار منزلاً لا يبرحون منه.

﴿١٠٣﴾ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

قل - أيها النبي - مبينًا: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالاً يوم القيامة، وأشدهم غبنًا وندامة؟

﴿١٠٤﴾ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

أخسر الناس أعمالاً يوم القيامة هم من كفر بالله في الدنيا فانحرف عن الصراط المستقيم، وسلك سبيل أهل الجحيم، وهو يظن أنه محسن فيما عمل، مصيب فيما فعل، في حين أنه في غي وضلال حيث حُرِمَ الرشد والهدى.

﴿١٠٥﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

هؤلاء الخاسرون هم الذين كذبوا بآيات الله، وجحدوا بالبعث بعد الموت، فأبطل الله أعمالهم بسبب كفرهم، فليس لهم عند الله يوم القيامة قدر ولا قيمة.

﴿١٠٦﴾ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾

وبسبب كفرهم وضلالهم أحبط الله أعمالهم، وجعل جزاءهم نار جهنم خالدين فيها، فقد كذبوا بالآيات وأنكروا المعجزات، واستهزؤوا بالبينات.

﴿١٠٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

إن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الأعمال الصالحة المشروعة بإخلاص ومتابعة لهم أرفع المنازل في الجنة، وأعلى المراتب في الفردوس.

﴿١٠٨﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾

هؤلاء الأبرار باقون في تلك الدار في جوار العزيز الغفار، ومن حسن الإقامة وطيب المحل، لا يريدون تحولاً عنها ولا خروجًا منها؛ لعظيم ما وجدوه من النعيم المقيم، والثواب العميم.

﴿١٠٩﴾ ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

قل - أيها النبي - لو أن ماء البحر كان حبرًا، وجُعل الشجر أقلامًا ليكتب بها الله كلامه لانتهى ماء البحر قبل أن تنتهي كلمات الله؛ لكثرتها وبركتها، ولو جعل الله مع البحر بحارًا أخرى تمد البحر الأول لانتهت أيضًا قبل انتهاء كلمات الله.

﴿١١٠﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

قل - أيها النبي - للكفار إنما أنا إنسان مثلكم في البشرية ولستُ ملكًا، وإنما أنا عبد الله ورسوله، أوحى الله إليَّ وحيًا أنه لا إله إلا هو لا شريك له ولا رب سواه، فمن كان يخاف عقاب الله ويرجو ثوابه ويؤمن بلقائه فعليه أن يعمل عملاً صالحًا خالصًا لربه على سنة الرسول ﷺ، ولا يشرك في العبادة مع الله غيره فيتركه الله وشركه.

مكية

سورة مريم

ترتيبها ١٩ | آياتها ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾

الحروف المقطعة الله أعلم بمراده بها، مع علمنا أن لها مقاصد جميلة وأسرارا عظيمة.

﴿٢﴾ ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾

هذا ذكر رحمة الله لعبده ونبيه زكريا، سوف يخبر الله بها لما فيها من العبر والعظات بالحكم والفوائد.

﴿٣﴾ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾

حين دعا زكريا ربه سرًّا؛ لما في ذلك من كمال الإخلاص وتمام الرجاء في الإجابة.

﴿٤﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾

قال زكريا: يا ربي تقدمت بي السن ورقَّ عظمي وشاب رأسي وما سبق أن منعتني من إجابة الدعاء، بل كنت تلبي طلبي كلما دعوتك.

﴿٥﴾ ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾

وقد خِفْتُ من أقاربي وعشيرتي إذا متُّ أن يقصروا في القيام بالدعوة إلى سبيلك وحمل أمانة الرسالة من بعدي، وزوجتي عاقر لا تلد، فارزقني ولدًا يخلفني بخير ويحمل الرسالة من بعدي، فقدرتك نافذة.

﴿٦﴾ ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾

هذا الولد يرث نبوتي من بعدي ونبوة آل يعقوب، وأسألك أن تصلح هذا الولد؛ ليكون مقبولاً عندك وعند الخلق.

﴿٧﴾ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾

فأوحى الله إليه يا زكريا إن الله يبشرك بأنه قد أجاب دعوتك، ووهب لك ولدًا اسمه يحيى تفاؤلاً بحياته، لم يُسبق أن سُمي باسمه غلام قبله.

﴿٨﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾

فتعجب زكريا وقال: يا ربي، كيف يولد لي ولد وزوجتي عاقر لا تلد، وأنا شيخ كبير مثلي لا ينجب؟!

﴿٩﴾ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾

قال الله: كذلك الأمر متعجب منه هنا ولكنه سهل على ربّك يا زكريا إيجاد ما يشاء بأسباب وبلا أسباب، وقد خلقك من قبل من العدم، فربك لا يعجزه شيء.

﴿١٠﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾

فسأل زكريا ربه ليطمئن إلى وعد الله قائلا: يا ربي، أريد علامةً أعرف بها حقيقة ما بشَّرتني به الملائكة، فأوحى الله إليه أن العلامة أنك لا تستطيع أن تكلِّم الناس مدة ثلاث ليالٍ وأيامها وأنت صحيح معافى.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

فظهر زكريا للناس من محل عبادته وهو الموطن الذي جاءته البشرى فيه بالغلام، فأشار إلى الناس أن سبحوا الله صباحًا ومساءً شكرًا له وعبودية.

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾

يا يحيى: أقْبِل على التوراة بهمَّة وعزيمة واجتهاد بحفظها وفهمها والعمل بها، والدعوة لما فيها، وقد أعطى الله الحكمة والفهم في العلم يحيى مع صغر سنّه.

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾

ووهب الله يحيى رحمة ومحبةً من عنده وطهرةً من الخطايا، وكان مراقبًا لربه يعمل بأوامره ويجتنب نواهيه.

﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾

كان يحيى طائعًا لأبيه وأمه يبرهما ويشفق عليهما، ولم يكن متكبرًا على الخلق ولا عاصيًا للخالق، بل متواضعًا مع الناس طائعًا لربه.

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وسلام من الله على يحيى وأمان من الرحمن له يوم أتت به أمه، ويوم وفاته، ويوم يُبعث من قبره حيًا في الآخرة.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾

واذكر - أيها النبي - في القرآن قصة مريم يوم ابتعدت عن أهلها جهة الشرق وأقامت فيه.

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾

فأقامت مريم ستارًا يسترها من أهلها ومن الناس، فأرسل الله إليها جبريل فجاءها في صورة إنسان كامل الخلق تام الشكل.

﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾

فلما رأت مريم جبريل قالت: أستجير بالرحمن منك أن يأتيني منك سوء أو أذى إن كنت تخاف الله وتتقيه.

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾

فقال لها جبريل: أنا مرسل من الله بعثني إليك لأهب لك غلامًا طاهرًا من الخطايا، نقيًّا من الآثام.

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾

قالت مريم لجبريل: كيف أنجبُ ولدًا وأنا لم يقربني إنسان بنكاح حلال، ولم أقترف حرامًا، وإنما يأتي الولد عن لقاء الرجل بالمرأة؟!

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾

قال لها جبريل: الأمر كما ذكرتِ فلم يقربك إنسان ولم تفعلي حرامًا صانك الله من ذلك، ولكن مجيء ابن بلا أب سهل يسير على الله، فقدرته نافذة؛ وليكون هذا الابن علامة على قدرة الله؛ وليكون عيسى رحمةً من الله على والدته وعلى أمته، وقد كتب الله ذلك وقدَّره فلا راد لحكمه ولا مانع لقضائه.

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾

فحملت مريم بعيسى بعدما نفخ جبريل في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها فحملت فذهبت إلى محل بعيد عن أعين الناس.

﴿٢٣﴾ ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾

فألجأها طلق النفاس إلى جذع النخلة فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم ولم أُوجد، ولم أُعرف ولم أُذكر ولم يُعلم من أنا؛ خوفًا من كلام الناس.

﴿٢٤﴾ ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾

فناداها عيسى ابنها: لا تحزني فهذا أمر الله وقضاؤه وقد جعل الله تحتكِ جدول ماء عذب.

﴿٢٥﴾ ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾

فحرِّكي بيدك جذع النخلة يسقط عليك من أعلاها رطب لذيذ جُني من وقته، وفيه بذل السبب لطلب الرزق.

﴿٢٦﴾ ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾

فكلي من الرطب واشربي من الماء وطيبي نفسًا بابنك، فإن رأيتِ أحدًا من الناس فسألك عن هذا الأمر فقولي: لقد ألزمت نفسي الصمت طاعةً لله، فلا أتكلم مع أحد من البشر، وكان الصمت عبادة في شرعهم لا في شرعنا، وفي الآية الاعتزال والصمت أيام الفتن.

﴿٢٧﴾ ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾

فجاءت مريم قومها وهي تحمل ابنها عيسى بعد أن ذهبت إلى مكان بعيد، فلما شاهدوها وابنها قالوا لها: يا مريم، ارتكبت فريةً عظيمة.

﴿٢٨﴾ ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾

يا أخت الرجل الصالح هارون: لم يكن أبوك عاصيًا يرتكب الفواحش، ولم تكن أمكِ امرأة سيئة تزاول البغاء.

﴿٢٩﴾ ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾

فلم تكلمهم مريم وأشارت إلى ابنها عيسى وهو طفل في المهد؛ ليسألوه، فأنكروا عليها وقالوا: كيف نكلم هذا الطفل وهو صغير في مهده، لا يستطيع الكلام ولا يفهم ما نقول؟!

﴿٣٠﴾ ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾

فأجاب عيسى وهو يرضع في مهده: إني عبدالله، قدَّر الله أن ينزل عليَّ الإنجيل وأن يجعلني نبيًا لبني إسرائيل.

﴿٣١﴾ ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

والله جعلني كثير الخير عامَّ النفع في أي مكان كنت، أنفع الناس بالعلم والحلم والحكمة، وأوصاني ربي بإقام الصلاة والمحافظة على أوقاتها، وأوصاني بإيتاء الزكاة ما بقيت على قيد الحياة، فالصلاة طهارة الروح، والزكاة طهارة المال.

﴿٣٢﴾ ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾

والله جعلني طائعًا لأمي حنونًا عليها رفيقًا بها، ولم يجعلني متكبرًا فظًّا غليظًا عاصيًا لله، بل تقيًا صالحًا.

﴿٣٣﴾ ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وعليَّ أمان من الله من كل خوف وسلامة من كل آفة يوم مولدي ووفاتي، ويوم أُبعث حيًّا يوم القيامة.

﴿٣٤﴾ ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾

هذا الذي أخبر الله عنه هو عيسى بن مريم حقيقة ويقينًا، وهذه قصته الثابتة الصحيحة لا كما ادعى اليهود والنصارى من أباطيل وافتراءات.

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ ٣٥

لا يليق بالله – تعالى – ولا ينبغي له ولا يصح أن يجعل لنفسه ولدًا من خلقه، تعالى عن ذلك ،إذا قدَّر أمرًا وأراده تم هذا الأمر وحصل بكلمة: "كن" لا راد لما أراد.

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ ٣٦

وقال عيسى لبني إسرائيل: اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئًا، فإنه ربي وربكم لا رب لنا سواه، وهو الطريق القويم، والصراط المستقيم، وما سواه ضلال وباطل.

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ٣٧

فاختلفت الطوائف من بني إسرائيل في شأن عيسى ﷺ، فقالوا: عيسى ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو هو الله!! واليهود عادوه وقالوا: ساحر أو ابن يوسف النجار، فعلى من كذَّب وكفر الهلاك والدمار في يوم شديد الهول، عظيم الخطر، هو يوم القيامة.

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ٣٨

ما أشد سماع الكفار لأخطار يوم القيامة، وما أشد بصرهم لأهوالها، يوم يعودون إلى الله؛ ليحاسبهم بما فعلوا، ولكن من ظلم نفسه بالكفر في بُعد ظاهر عن الحق، وفي انحراف واضح عن الهدى.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٣٩

وحذِّر – أيها النبي – الناس يوم الندامة على التقصير حين يُقضى الأمر ويُحاسب الناس، فللسعداء الثواب، وللأشقياء العقاب، والكفار في هذه الدنيا في غفلة عن ذاك اليوم؛ لأنهم أعرضوا عن الحق واتبعوا الباطل، وليس عندهم إيمان صحيح ولا عمل صالح.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ ٤٠

إن الله وحده يرث الأرض ومن عليها، حيث يفني الخليقة جميعها، ويبقى وحده؛ لأنه حيّ لا يموت – سبحانه – ومرد العباد إليه وحسابهم عليه، وسوف يجازيهم بأفعالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ ٤١

واذكر – أيها النبي – للناس في هذا القرآن خبر إبراهيم ﷺ، فإنه كان من أعظم الأولياء الصادقين المخلصين، وقد اصطفاه الله بالنبوة وأكرمه بالخُلة.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ ٤٢

يوم قال لأبيه آزر: لماذا يا أبتِ تعبد الأصنام الجامدة وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تدفع عنك ضرًا ولا تجلب لك نفعًا؟ فالله وحده الذي يجلب النفع ويدفع الضر.

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ ٤٣

يا أبتِ: إن الله أكرمني بالعلم النافع الذي أوحاه إليَّ فاقبل مني النصيحة وتعال معي إلى طريق الهدى أدلُّك على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا ضلال.

﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ ٤٤

يا أبتِ: لا تتبع الشيطان بأن تعبد الأوثان وتترك عبادة الرحمن، فإن إبليس عدوٌ لله قد استكبر على عبادته، وعصى أمره.

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾

يا أبتِ، أخشى أن تموت وأنت كافر فيخلِّدك الله في النار، فتكون مصاحبًا للشيطان في الجحيم.

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾

فقال آزر لابنه إبراهيم: أتريد أن تعبد غير آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تترك سبَّها وشتمها لأرمينَّك بالحجارة حتى تموت، فارقني فلا أراك ولا تراني، ولا تكلمني ولا تلقاني.

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾

قال إبراهيم لأبيه: لك السلامة مني فلا يأتيك مني ما يؤذيك، فللوالد إحسان الصحبة ولو كان كافرًا، لا الطاعة في المعصية، ثم قال إبراهيم: سوف أدعو الله أن يهديك إلى الإيمان وأن يغفر ذنبك، فإن ربي عوَّدني ألا يخيّب رجائي فيه، بل يكرمني بإجابة دعائي دائمًا.

﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾

وسوف أفارقك يا أبي أنت وقومك وأصنامكم التي تعبدونها من دون الله، وأستمر على دعائي وعبادتي لربي؛ مخلصًا له ديني، فربي لا يشقيني بردِّ سؤالي.

﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾

فلما فارق إبراهيم أباه وقومه وأصنامهم رزقه الله إسحاق، ومن بعد إسحاق ابنه يعقوب وجعلهما نبيين كريمين.

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾

وتفضَّل الله على الجميع إبراهيم وأبنائه بالفضل العظيم من النبوة والرسالة والحكمة والذكر الحسن، والثناء الجميل الباقي.

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾

واذكر - أيها النبي - في القرآن خبر موسى ﷺ فإن الله قد اختاره نبيًا واصطفاه رسولاً، وكان من أولي العزم عليهم السلام.

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴾

ونادى الله موسى من الجهة اليمنى من جبل طور سيناء، وقرَّب الله موسى بكلامه -سبحانه - له، وشرَّفه بمناجاته واصطفاه برسالته، وفي هذا إثبات صفة الكلام لله - تعالى - على وجه يليق بجلاله وكماله سبحانه.

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴾

وأعطى الله موسى أخاه هارون مؤيدًا وناصرًا وجعله نبيًا؛ رحمةً من الله وتفضلاً ليتعاونا على البلاغ.

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾

واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن قصة إسماعيل ﷺ فإنه كان صادقًا في وعده، إذا وعد وفَّى، فلم يخلف أبدًا، وكان مرسلاً من الله شرَّفه بالنبوة.

﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾

وكان إسماعيل يأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان الله راضيًا عن إسماعيل؛ لحسن فعله وتمام طاعته.

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾

واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن قصة إدريس ﷺ فإنه كان عظيم الصدق في قوله وعمله، نبيًا يُوحى إليه.

٥٧ ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

ورفع الله ذكره في العالمين، ورفع منزلته في المقربين، فذكره مرفوع، ومنزلته عالية.

٥٨ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾

هؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله لرسوله ﷺ هم الذين تفضل الله عليهم بالهداية والنبوة والتوفيق لكل خير، وهم من ذرية آدم، ومن ذرية من حمل الله مع نوح في السفينة، ومن ذرية إبراهيم، وذرية يعقوب، وممن هداهم الله للإيمان واختارهم للرسالة، إذا سمعوا آيات الله تُتلى عليهم، سجدوا خاضعين خائفين باكين من خشية الله لتمام عبوديتهم وانقيادهم لربهم.

٥٩ ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾

فجاء من بعد هؤلاء الأبرار أتباع سوء لم يُصَلُّوا أو ضيعوا أوقات الصلاة أو أهملوا واجباتها وأركانها ووقعوا فيما يوافق شهوات نفوسهم من المحرمات، فسوف يلقون شقاءً وخيبةً وندامة في نار جهنم.

٦٠ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾

لكن من عاد إلى ربِّه وندم على ذنبه وهو مؤمن صادق الإيمان عاملٌ للصالحات، فالله يقبل توبتهم ويمحو ذنوبهم ولا ينقصون شيئًا من ثواب أعمالهم بل تكمل لهم وافية.

٦١ ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾

يدخل هؤلاء الأبرار جنات خلد في إقامة دائمة، وهي التي وعد الله بها الصالحين من عباده بالغيب، فصدقوا بها ولم يشاهدوها من قبل، إن وعد الله متحقق حاصل لا راد له.

٦٢ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

لا يسمع أهل الجنة في الجنة كلامًا لاغيًا لا خير فيه، وإنما يسمعون تحية لهم بالسلام من كل آفة والأمن من كل خوف، ويطعمون فيها أول النهار وآخره كلما أرادوا الطعام مع حسن المقام والأمن والسلام.

٦٣ ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾

تلك الجنة التي ذكرها الله يهيئها الله للأتقياء من عباده، وهو كل من عمل بأوامر الله واجتنب نواهيه.

٦٤ ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾

ويقول جبريل للرسول ﷺ: وما تنزل الملائكة من السماء إلى الأرض إلا بإذن من الله، له كل شيء أمامنا من أمر الآخرة، وله كل شيء من خلفنا مما مضى من أمر الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، فله كل ما وقع في الزمان والمكان، والله لا ينسى جل في علاه.

٦٥ ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾

الله وحده رب السموات والأرض، وهو خالقهما ومدبر ما فيهما، وهو رب ما بينهما، ومالك ذلك كله، فأخلص له العبادة وحده، ولا تشرك به شيئًا، واصبر على أداء طاعته والقيام بعبوديته، فليس له شبيه ولا مثيل في أسمائه وصفاته وأفعاله.

٦٦ ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾

ويقول الكافر مكذبًا بالبعث بعد الموت: كيف أعود حيًا بعد ما متُّ وفنيت، إن هذا مستحيل.

﴿٦٧﴾ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾

وهذا الكافر المكذب ما تذكر أن الله خلقه من العدم ولم يكن موجودًا من قبل، فإعادته بعد الموت أهون على الله - تعالى - والكل عليه هين.

﴿٦٨﴾ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾

فقسمًا بربك - أيها النبي - ليجمعن الله المكذبين بالبعث مع الشياطين، ثم ليأتين بهم حول نار جهنم باركين على الركب من شدة الخوف وعظيم الهول.

﴿٦٩﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾

ثم ليبدأنَّ الله بعذابِ من هو أشد طغيانًا وتكبرًا وأكثرهم تمردًا وكفرًا.

﴿٧٠﴾ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾

ثم إن الله أعلم بالذين هم أولى بدخول النار ومعاناة عذابها ومقاساة حرِّها.

﴿٧١﴾ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾

وما من الناس أحد إلا وارد على النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، وهم متفاوتون في الإسراع على حسب الأعمال، وهذا أمر لا بد منه ولا محيص عنه.

﴿٧٢﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

ثم ينجي الله من اتقاه بالعمل بشرعه، ويترك من ظلم نفسه بالكفر في نار جهنم باركين على ركبهم.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾

وإذا تُليت آيات القرآن البينة الواضحة قال الكفار للمؤمنين: أي الطائفتين منا ومنكم أكرم منزلاً وأفضل مجلسًا؟

﴿٧٤﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾

وكم أهلك الله بالعذاب قبل كفار مكة من القرون السابقة، وكانوا أجمل متاعًا وأحسن منظرًا من هؤلاء الكفار.

﴿٧٥﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾

قل - أيها النبي - من كان معرضًا عن الهدى فالله يمهله ويملي له في غوايته، حتى إذا أبصر ما توعد الله به الكفار، إما هلاك الدنيا العاجل، وإما قيام الساعة، فسوف يتيقن حينها من هو أسوأ منزلةً ومقامًا، ومن هو أضعف ناصرًا ومعينًا.

﴿٧٦﴾ ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾

والله يزيد من آمن به وعمل صالحًا إيمانًا إلى إيمانهم بسبب طاعتهم وتمام اتباعهم لرسوله ﷺ، والأعمال الصالحة المشروعة هي أعظم أجرًا عند الله في الآخرة، وأحسن عاقبة، يجدها العبد إذا احتاج إليها يوم الفقر.

﴿٧٧﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾

ألم تعجب - أيها النبي - لهذا الكافر العاص بن وائل وأشباهه، الذي كذَّب بآيات الله، وكفر بدينه، وأقسم أنه ينال في الآخرة أموالاً وأولادًا.

﴿٧٨﴾ ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾

هل اطلع على علم الغيب حتى يدَّعي لنفسه ما ادعى، أم أن له عهدا عند الله بحصول ذلك له، والحق أنه لا علم عنده ولا عهد له؟

٧٩ ﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾

ليس الأمر كما زعم، فليس له علم ولا عهد، وإنما هو كذاب وسوف يكتب الله ما افتراه ويزيده الله من أصناف العذاب، وأنواع النكال مثلما ازداد من التكذيب والكفر.

٨٠ ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾

نسلب جميع ما يملك بموته ونتركهُ وحيدًا فريدًا لا مال له ولا ولد ولا عضد ولا سند.

٨١ ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾

واتخذ الكفار أصنامًا يعبدونها من دون الله، يطلبون عندها العزة، ولكن العزة لله وحده.

٨٢ ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾

لا ينال الكفار العزة أبدًا بعبادة آلهة من دون الله، بل سوف تنكر آلهتهم يوم القيامة عبادة هؤلاء الكفار لها، وتكون خصومًا لهم عند الله تكذبهم فيما قالوا.

٨٣ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾

ألم ترَ - أيها النبي - أن الله سلَّط الشياطين على الكفار تغريهم بالمعاصي وتدفعهم إلى الذنوب.

٨٤ ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾

فلا تستعجل - أيها النبي - بسؤال العقوبة من الله للكفار، إن الله يحسب أعمارهم وأعمالهم بلا إهمال ولا تفريط، فكل شيء بأجل وحساب وقدر.

٨٥ ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾

يوم يجمع الله الأبرار لرحمته الواسعة وفودًا مكرمين منعَّمين.

٨٦ ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾

ويسوق الله بملائكته الكفار سوقًا عنيفًا إلى جهنم وهم يمشون عطاشًا.

٨٧ ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾

لا يستطيع هؤلاء الكفار الشفاعة لأحد؛ لأنهم ليس لهم عهد عند الله من الإيمان به وبرسوله ﷺ.

٨٨ ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾

وزعم الكفار -كاذبين- أن الله اتخذ ولدًا من عباده، تعالى وتنزَّه عن ذلك؛ لأنه واحد أحد لم يلد ولم يولد.

٨٩ ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾

لقد أتى الكفار بقولهم هذا منكرًا فظيعًا وأمرًا شنيعًا.

٩٠ ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾

توشك السماء أن تتشقق من فظاعة هذا القول وشناعته، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال وتندك؛ غضبًا لله وإجلالاً له عن هذا البهتان، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

٩١ ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾

لأنهم نسبوا إلى الله - سبحانه - الولد زورًا وبهتانًا منهم.

٩٢ ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾

لا يليق بعظمة الله وجلاله أن يكون له ولد؛ لأنه غني عن كل أحد لم يلد ولم يولد.

٩٣ ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ﴾

كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن سوف يعودون إلى الله يوم القيامة أذلاء خاضعين مقرين بالعبودية له وحده، خائفين منه تعالى.

٩٤ ﴿ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا ﴾

لقد أحصى الله الخليقة وعلم عددهم، فلا يفوته منهم أحد، ولا يغيب منهم فرد.

٩٥ ﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾

وسوف يعود كل إنسان من الناس إلى الله يوم القيامة فريدًا وحيدًا، لا مال له ولا ولد ولا سلطان.

٩٦ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا ﴾

إن الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله ﷺ وعملوا الصالحات المشروعة سوف يجعل لهم الله برحمته محبة ومودة في قلوب عباده، ومنه القبول والثناء الحسن والذكر الجميل.

٩٧ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا ﴾

فإنما سهَّل الله القرآن بلسانك العربي - أيها النبي - لتبشر الصالحين الأتقياء برضوان الله وجنته، وتخوِّف الفجار شديدي الجدل بالباطل والمخاصمة في الضلال بنار جهنم.

٩٨ ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا ﴾

وكثيرًا من الأمم السابقة أهلكهم الله، لا تشاهد منهم أحدًا ولا تسمع لهم صوتًا، وسوف يقع الهلاك على كفار هذه الأمة كما وقع على من قبلهم، سنة ماضية لا تبديل لها.

سورة طه

مكية | ترتيبها ٢٠ | آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿ طه ﴾

من الحروف المقطعة الله أعلم بمراده بها.

٢ ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾

ما أنزل الله عليك القرآن - أيها النبي - لتكلف نفسك ما لا تطيق، بل نزل باليسر والسعادة والفلاح.

٣ ﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾

لكن الله أنزل القرآن عليك لتعظ به من يخاف عذاب الله، فيراقبه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

٤ ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾

الله الذي خلق السموات العالية والأرض هو الذي نزَّل عليك القرآن وحيًا من عنده.

٥ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾

الرحمن على عرشه علا وارتفع عن خلقه واستوى استواء يليق بجلاله.

٦ ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾

لله وحده كل ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الأرض، خلقًا وتدبيرًا وملكًا وتصريفًا لا شريك له في ذلك.

٧ ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾

وإن ترفع صوتك بالقول أو تخفيه فإن الله يعلم الجهر والسر، وما تحدث به النفس الذي هو أخفى من السر.

٨ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

الله وحده لا معبود بحق إلا هو، لا شريك له ولا رب سواه، له الأسماء المتضمنة لصفات الكمال البريئة من النقص.

٩ ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾

وهل أتتك - أيها النبي - قصة موسى عليه السلام العظيمة العجيبة.

١٠ ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾

ليلة أبصر موسى نارًا تتقد فقال لأهله: انتظروا هنا؛ فقد أبصرتُ نارًا سوف أذهب إليها حتى آخذ منها شعلة لدفئكم، وإنضاج طعامكم، أو أجد عندها من يدلنا على الطريق.

١١ ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾

فلما وصل موسى إلى النار ناداه الله عز وجل: يا موسى، وأكرمه بالتكليم وشرَّفه بالنبوة.

١٢ ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

ناداه - سبحانه - بأنه ربُّه وإلهه، وأمره بأن يخلع نعليه لقدسيَّة وادي طوى وطُهْرِه وبركته؛ بسبب الوحي الذي حصل فيه، وتهيأ لمناجاة الله، فخلع موسى نعليه وألقاها.

١٣ ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾

والله اختارك يا موسى واصطفاك لتبليغ رسالته، فاستمع لما يوحيه الله إليك بقلب حاضر.

١٤ ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾

إن الله لا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه ولا شريك له، فاعبده وحده وأخلص له الطاعة، وأقم الصلاة لتذكر الله فيها.

١٥ ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾

إن قيام الساعة واقع لا محالة، لابد من حصوله، يكاد يخفيها الله من نفسه، فكيف يعلمها غير الله؛ وهي آتية لتجزى كل نفس بما فعلت من خير وشر.

١٦ ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾

فلا يصرفنك عن الإيمان بيوم القيامة والعمل لها، من كذَّب بوقوعها، وترك الهدى واتبع الهوى فإن أطعته هلكت.

﴿١٧﴾ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾

وما الذي تمسكه بيدك اليمنى يا موسى.

﴿١٨﴾ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾

قال موسى لربه: هذه عصاي أعتمدُ عليها إذا مشيت وأخبط بها وَرَق الشجر لتأكل منه غنمي، ولي فيها حاجات أخرى ومنافع كقتل الثعبان والعقرب.

﴿١٩﴾ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾

أمر الله موسى أن يلقي العصا من يده.

﴿٢٠﴾ ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾

فألقى موسى عصاه على الأرض فحوَّلها الله حية تسعى، فهال موسى ما شاهد فولَّى هاربًا.

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾

فأمر الله موسى أن يأخذ الحية ولا يخافَ منها فإنها لا تضر، فسوف يعيدها عصًا كما كانت بمجرد أخذه لها.

﴿٢٢﴾ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾

واضمم يدك يا موسى تحت عضدك على جنبك تخرج بيضاء من غير برص ولا عيب.

﴿٢٣﴾ ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾

أمر الله موسى بذلك حتى يشاهد موسى من براهين الله الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته.

﴿٢٤﴾ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾

أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون يدعوه إلى توحيد الله والإيمان به، فقد تجاوز الحد في البغي والظلم والكفر، وتمرد وأفسد في الأرض.

﴿٢٥﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾

فدعا موسى ربه فقال: رب وسِّع لي صدري؛ لأستطيع تبليغ الرسالة.

﴿٢٦﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾

وسهِّل يا رب لي أمري حتى أقوم بالرسالة.

﴿٢٧﴾ ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾

وأسألك يا رب أن تطلق لساني بالكلام فلا أتلعثم.

﴿٢٨﴾ ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾

حتى يفهم مني الناس ما أقوله لهم.

﴿٢٩﴾ ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾

واجعل لي مساعدًا من أهلي يعينني.

﴿٣٠﴾ ﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾

اجعل هذا المساعد والمعين أخي هارون.

﴿٣١﴾ ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾

قوِّني بهارون وشدَّ به ظهري؛ لأقوى على حمل الأمانة.

﴿٣٢﴾ ﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾

وأدخله معي في النبوة وتبليغ الدعوة معي.

﴿٣٣﴾ ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴾

حتى ننزِّهك ونقدسك بالتسبيح الكثير.

﴿٣٤﴾ ﴿ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴾

ونكثر من ذكرك الذي هو أعظم عون لنا على الرسالة.

﴿٣٥﴾ ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾

فأنت بصير بأحوالنا لا تخفى عليك منا خافية.

﴿٣٦﴾ ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾

فأجاب الله موسى وأعطاه ما سأله.

﴿٣٧﴾ ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴾

ولقد أنعم الله على موسى قبل هذه النعمة بنعمة أخرى لما نجاه من فرعون، وكان موسى طفلاً.

﴿٣٨﴾ ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾

إذ ألهم الله أم موسى إلهامًا يحفظ به ابنها موسى.

﴿٣٩﴾ ﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾

فألهمها الله أن تضع ابنها موسى في التابوت، ثم تطرحه في النيل، فسوف يحمله النيل إلى الساحل فيقع في يد فرعون عدوي وعدوّ موسى. وألقى الله الحب على موسى، فصار محبوبًا عند الناس، مقبولاً عند العباد، وربَّاه الله على عين منه وحفظ ورعاية، وفي الآية إثبات العين لله كما يليق بجلاله سبحانه.

﴿٤٠﴾ ﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴾

ومن لطيف تدبيرنا وحفظنا لك ما صنعناه حين كانت أختك تمشي تبحث عنك وتقول لمن أخذك: ألا أدلكم على من يكفله ويرضعه لكم؟ فأعادوك إلى أمك - ولم يعلموا بذلك - لترضعك أمك وترعاك وتطيب نفسها برؤيتك وسلامتك ولا تحزن على فقدك، ونجيناك يا موسى من الغم الذي حصل لك بقتل القبطي والخوف من القتل، وامتحنك الله امتحانًا لتمحيصك واصطفائك، فخرجت من مصر خائفًا إلى أهل مدين، فبقيت عندهم سنين، ثم جئت إلى مدين على موعد قدَّره الله وقضاه.

﴿٤١﴾ ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾

واختار الله موسى لرسالته واصطفاه لتبليغ دعوته والقيام بشرعه.

﴿٤٢﴾ ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴾

أمر الله موسى أن يذهب هو وأخوه هارون بآياته الدالة على ألوهيته ووحدانيته سبحانه وعظيم قدرته، وأمرهما أن لا يضعفا في الدوام على ذكره سبحانه؛ لأن الذكر يشرح الصدر ويسهل بسببه كل أمر.

﴿٤٣﴾ ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾

وأمر موسى وهارون أن يذهبا إلى فرعون؛ لأنه بغى وطغى وتجاوز الحد في الكفر والظلم والفساد.

﴿٤٤﴾ ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾

وأمرهما الله بالقول اللين اللطيف الحسن مع فرعون بلا غلظة ولا فظاظة؛ ليكون أدعى للقبول، وهذا القول اللين من خير الناس لشر الناس، فالواجب على كل داعية الرفق واللين في دعوته.

﴿٤٥﴾ ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾

فقال موسى وهارون: يا ربنا إننا نخاف من فرعون أن يعاجلنا بالعقوبة، أو أن يرد الحق فلا يقبله، فالخوف أن يعذبنا أو يكذِّبنا.

﴿٤٦﴾ ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾

فأوحى الله إلى موسى وهارون أن لا يخافا من فرعون، فإن الله معهما بحفظه ونصره وتأييده، يسمع كلامهما ويرى أفعالهما.

﴿٤٧﴾ ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾

وأمرهما أن يأتيا فرعون ويخبراه بأنهما مرسلان من الله ربه، أن أطلق بني إسرائيل من مصر ولا تشق عليهم في الأعمال أو تؤذيهم، وأتى موسى وهارون بمعجزة ظاهرة عظيمة إلى فرعون تدل على صدقهما في دعوتهما، والسلامة من عذاب الله لمن اتبع هداه وترك هواه.

﴿٤٨﴾ ﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

إن الله أوحى إلينا أن عذابه على من كذَّب رسله وأعرض عن شرعه.

﴿٤٩﴾ ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾

قال فرعون لهم معاندًا جاحدًا: من ربكما يا موسى؟ وهذا إنكار في الظاهر.

﴿٥٠﴾ ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

فأجابه موسى بقوله: ربنا الله الذي خلق كل شيء خلقًا لائقًا به في حسن الصنع والتركيب، ثم وفَّق كل مخلوق للانتفاع بما خلقه الله له، ودله على أسباب الحياة.

﴿٥١﴾ ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾

قال فرعون لموسى: فما شأن من تقدم من الأمم وسبق من الأقوام، فقد سبقوا إلى التكذيب والجحود.

﴿٥٢﴾ ﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾

قال موسى لفرعون: خَبَرُ تلك الأمم وما فعلته عند الله وحده، مكتوب في اللوح المحفوظ، لا يضل الله في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى من علمه شيئًا، فأحكامه وأفعاله بحق وصدق وعلم.

﴿٥٣﴾ ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴾

الله وحده الذي صيَّر الأرض سهلة ذلولاً للانتفاع بها والعيش على ظهرها، وصيَّر فيها طرقًا كثيرة يسيرة لتنقل المخلوقات فيها، وأنزل ماء من السماء أنبت به أنواعًا مختلفة ونباتات متنوعة؛ رزقًا للعباد والحيوان.

﴿٥٤﴾ ﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾

كلوا - أيها العباد - من طيبات ما أخرج الله من الأرض، وارعوا في الأرض ببهائمكم، إن فيما أنبت الله لبراهين على قدرته - سبحانه - واستحقاقه للألوهية وحده.

٥٥ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

من الأرض خلق الله الناس، وفي الأرض يعيدهم أمواتًا في قبورهم، ومن الأرض يخرجهم أحياءً مرةً أخرى؛ ليجازيهم على أفعالهم.

٥٦ ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾

ولقد أرى الله فرعون أدلة الوحدانية وبراهين القدرة في المعجزات والمخلوقات والآيات البينات، ولكن كذب بها وامتنع عن قبول الحق، كذب بقوله وعصى بفعله.

٥٧ ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾

قال فرعون: هل أتيت إلينا يا موسى بسحرك تريد إخراجنا من ديارنا؟

٥٨ ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾

فسوف نأتيك يا موسى بسحر مثل سحرك، فوقِّت لنا موعدًا محددًا نلتقي فيه لا نختلف عنه نحن ولا أنت في مكان مستو معتدل وسط بيننا وبينك.

٥٩ ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾

فوعدهم موسى يوم اجتماعهم في عيد من أعيادهم يوم يتجمَّلون للعيد؛ ليجتمعوا من كل مكان وقت الضحى.

٦٠ ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾

فأعرض فرعون عن الحق وجمع السحرة وجاء للموعد محاربًا لله ولرسوله موسى ﷺ.

٦١ ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾

فنصح موسى السحرة وخوَّفهم من اختلاق الكذب على الله؛ لأن الله سوف يستأصلهم بعذاب من عنده فيدمرهم، وقد خسر من كذَّب على الله وضل سعيه.

٦٢ ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴾

فاختلف السحرة فيما بينهم وكتموا حديثهم عن الناس.

٦٣ ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾

قال السحرة: إن موسى وهارون ساحران يريدان إخراج فرعون وقومه من ديارهم، ويفسدان سحركم العظيم عليكم.

٦٤ ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾

فأبرموا أمركم وأحكموا مكركم ولا تختلفوا وتتفرقوا، وأقبلوا عليهما صفًا واحدًا وألقوا ما في أيديكم بعزم؛ لتدهشوا العقول وتنتصروا على موسى وهارون، وقد فاز ونجح من قهر خصمه وعلا على عدوه هذا اليوم.

٦٥ ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾

قال السحرة لموسى: اختر أيهما شئت إما أن تبدأ أنت بإلقاء عصاك أو نبدأ نحن بإلقاء ما عندنا.

٦٦ ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾

قال لهم موسى: بل أنتم ابدؤوا بإلقاء ما معكم، فلما ألقوا ما معهم خُيِّل إلى موسى أن حبالهم وعصيهم ثعابين تمشي.

٦٧ ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴾

فشعر موسى بالخوف والوجل مما شاهد.

﴿٦٨﴾ ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾

فأوحى الله إلى موسى أن اثبت ولا تخف مما رأيت فأنت المنتصر هذا اليوم وستغلبهم بإذن الله تعالى.

﴿٦٩﴾ ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾

واطرح عصاك التي في يدك اليمنى تبتلع عصيهم وحبالهم، فإن الذي فعلوه أمامك إنما هو مكر ساحر وخديعة سحر، ولن يفوز الساحر ولن يظفر حيثما كان.

﴿٧٠﴾ ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾

فطرح موسى عصاه فابتلعت الحبال والعصي وانتصر الحق وقام الدليل على صدق موسى، فسجد السحرة على الأرض لله وقالوا: آمنا بالله ووحدناه رب هارون وموسى، فلو كان الذي عند موسى سحرا لما قهرنا هذا اليوم.

﴿٧١﴾ ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾

قال فرعون للسحرة: هل صدَّقتم بما جاء به موسى واتبعتموه ولم آذن لكم بذلك، إن موسى معلمكم هذا السحر وهو إمامكم في هذا العمل، فسوف أقطِّع أيديكم وأرجلكم من خلاف، اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو الضد، ولأربطن أجسامكم بعد التمثيل بكم على جذوع النخل تشهيرًا بكم، وهذه غاية العقوبة، وسوف تعلمون هل أنا أو إله موسى أشد عذابًا وأكثر دوامًا واستمرارًا، وخاب اللعين وخسر، بل الله أشد عذابًا وأبقى.

﴿٧٢﴾ ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

قال السحرة لفرعون: لن نفضِّل باطلك على الحق الذي جاء به موسى، ولن نفضِّل ربوبيتك الكاذبة على ربوبية الله الواحد الأحد الذي خلقنا، فافعل ما بدا لك، إنما قدرتك علينا في هذه الدنيا القصيرة الفانية، وعذابك لنا سوف ينقضي بانقضاء الدنيا.

﴿٧٣﴾ ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

إننا صدَّقنا بألوهية ربنا وبما جاء به رسوله موسى، لعل الله يعفو عن ذنوبنا وما أكرهتنا عليه يا فرعون من مزاولة السحر، والله خير ثوابًا لمن أطاعه، وأبقى عذابًا لمن عصاه.

﴿٧٤﴾ ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾

إن من جاء ربه وهو كافر فإن موعده النار خالدًا فيها لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة سويّة.

﴿٧٥﴾ ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾

ومن يعود إلى ربِّه يوم القيامة وهو مؤمن قد عمل الأعمال الصالحة المشروعة فله المراتب العالية، والمنازل الرفيعة في الجنة.

﴿٧٦﴾ ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾

جنات إقامة دائمة تجري من تحت أشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، وهذا النعيم المقيم والثواب العظيم لمن طهَّر نفسه من المعاصي بالطاعات والتوبة، وأخلص عبادة ربِّه وصدق في اتباع الرسول ﷺ.

﴿٧٧﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾

ولقد أوحى الله إلى موسى أن اذهب ليلاً بعبادي من بني إسرائيل من مصر فاجعل لهم في البحر طريقًا يابسًا جافًا لا تخشى أن يدرككم فرعون ولا تخف من الغرق.

﴿٧٨﴾ ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾

فخرج موسى ببني إسرائيل ليلاً، وعبر البحر، فسار فرعون خلفهم بجنوده، فعلاهم الماء وغمرهم بما يفوق الوصف.

﴿٧٩﴾ ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾

وأغوى فرعون أتباعه وزيَّن لهم الضلالة، وما أرشدهم إلى الحق ولا دلَّهم على الصواب.

﴿٨٠﴾ ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾

أمر الله بني إسرائيل أن يذكروا نعمه حين أنجاهم من فرعون وجنوده وجعل موعدهم بجانب الطور الأيمن لينزِّل التوراة على موسى هناك، وأنزل الله عليهم في التيه الحلوى كالعسل، والطير كالسمان لذيذ الطعم.

﴿٨١﴾ ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾

وأمر الله بني إسرائيل أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم الله بلا تجاوز للحد في الأكل ولا تعد إلى المحرم، ولا فعل معصية، فإن فعلوا ذلك حل بهم غضب الله، ومن حل به ذلك فقد خاب وخسر.

﴿٨٢﴾ ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

والله كثير الغفران لمن صدق في توبته من ذنبه، وصدَّق بما جاء عن الله وعمل الأعمال الصالحة المشروعة، ثم اهتدى إلى سلوك الطريق المستقيم، واستقام على الحق.

﴿٨٣﴾ ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾

وما الذي جعلك يا موسى تستعجل فتسبقهم إلى الطور الأيمن وتتركهم بعدك.

﴿٨٤﴾ ﴿ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾

قال موسى: يا رب، تركتُ قومي بعدي وسوف يلحقون بي، وإنما استعجلتُ المجيء إليك لتزداد عني رضا.

﴿٨٥﴾ ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾

فأخبر الله موسى أنه قد ابتلى قومه بعبادة العجل بعد أن فارقهم وقد أغواهم السامري.

﴿٨٦﴾ ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾

فعاد موسى إلى قومه غضبان عليهم بسبب عبادتهم العجل، وهو حزين مما جرى، ولامهم وقال لهم: يا قوم، أما سبق أن الله وعدكم وعدًا حسنًا بإنزال التوراة عليّ، فهل تأخر عليكم الزمن فاستبطأتم الوعد، أم فعلتم ما فعلتم من الشرك لينزل عليكم غضب الله وعذابه فنقضتم عهدي، وأخلفتم ما وعدتموني عليه فعبدتم العجل وأهملتم ما جئت به؟

﴿٨٧﴾ ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴾

قال بنو إسرائيل: يا موسى، ما نقضنا العهد ولا أخلفنا الموعد معك برغبة منا، ولكنَّا نقلنا معنا أحمالاً ثقيلة من حلي قوم فرعون، فوضعناها في حفرة ثم صهرناها بالنار وطرح السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل على الحلي والنار.

﴿٨٨﴾ ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾

فصنع السامري لبني إسرائيل من الذهب المنصهر على هيئة العجل يخور خوار البقر، فقال من افتتن بهذا العجل وانخدع به لغيرهم: هذا العجل هو إلهكم فاعبدوه، ولكن موسى نسيه وغفل عنه؛ كذبًا منهم وزورًا.

٨٩ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾

أفلا يرى من عبد العجل وافتتن به أن هذا العجل جامد صامت لا يبتدئ بكلام ولا يجيب من سأله، ولا يدفع عمن عبده ضرًا، ولا يجلب لهم نفعًا، فكيف يكون إلهًا يُعبد.

٩٠ ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾

ولقد حذر هارون بني إسرائيل من قبل أن يعود لهم موسى، وقال: إنما هذا العجل اختبار وامتحان ليتميز الصادق من الكاذب، وإن ربكم الذي يستحق العبادة هو الرحمن لا إله إلا هو فاقتدوا بي في عبادة الله وحده، وأطيعوني فيما آمركم به من توحيد الله تعالى.

٩١ ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

قال من عبد العجل من بني إسرائيل: سوف نبقى على عبادة العجل حتى يعود إلينا موسى.

٩٢ ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾

فلما عاد موسى قال لأخيه هارون: من الذي منعك من اللحاق بي وتركهم لما رأيتهم يعبدون العجل من دون الله تعالى؟

٩٣ ﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾

لماذا لم تتبعني وترجع إليَّ، هل خالفتني فيما أمرتك به من إصلاح بني إسرائيل بعدي وحسن خلافتي فيهم؟

٩٤ ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾

ثم أخذ موسى من الغضب بلحية هارون ورأسه يسحبه إليه، قال له هارون: يا ابن أمي لا تجرني بلحيتي ولا بشعر رأسي، إني خفت إن لحقت بك وتركتُ بني إسرائيل أن تقول لي: تركت بني إسرائيل مختلفين متفرقين، وأتيت إليَّ ولم تصلح شأنهم وتخلفني فيهم بخير، ولم تحفظ وصيتي بجميل ولايتهم.

٩٥ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴾

قال موسى للسامري: ما الذي حملك على ما فعلت من إضلال بني إسرائيل بعبادة العجل؟

٩٦ ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾

قال السامري: رأيتُ ما لم يره غيري، إذ رأيت جبريل ﷺ على فرس بعدما غرق فرعون وجنوده، فأخذتُ كفًا من تراب حافر فرس جبريل فطرحتُ هذا التراب على الحلي الذي صنعتُ منه العجل، وكذلك سوَّلت لي نفسي الأمارة بالسوء هذا الفعل.

٩٧ ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾

قال موسى للسامري: فاذهب فجزاؤك على ما فعلت أن تعيش طريدًا شريدًا منبوذًا تقول لكل أحد: لا أَمَسَّ ولا أُمَسَّ، ولك ميقات عند الله يعذبك على جرمك العظيم من اتخاذ العجل، وهذا وعد متحقق، وانظر إلى هذا العجل الذي عبدته من دون الله، سوف نحرقه بالنار ثم نسحقه ثم ننسفه في ماء البحر نسفا، أي تذرية في ماء اليم.

٩٨ ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾

إنما إلهكم - أيها الناس - المعبود بحق هو الله وحده لا إله إلا هو لا شريك له، وسع علمه كل شيء، لا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية.

﴿٩٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾

كما قصَّ الله عليك - أيها النبي - أخبار موسى وفرعون يقص عليك أخبار الأمم السابقة، وقد أنزل الله عليك هذا القرآن الذي هو عظة وعبرة وذكرى لمن يتذكر.

﴿١٠٠﴾ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾

من أعرض عن القرآن ولم يتبعه ويعمل به فإنه يتحمل إثمًا عظيمًا لإعراضه وإهماله.

﴿١٠١﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾

باقين في العذاب الأليم أبدًا، وساء ذلك الحمل الثقيل من الذنوب وقبح هذا الذي خلدهم في جهنم.

﴿١٠٢﴾ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾

يوم ينفخ الملك في القرن لقيام الساعة والبعث بعد الموت، وتسوق الملائكة الكفار الأشرار وهم زرق العيون والألوان من هول ما شاهدوا.

﴿١٠٣﴾ ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾

يتهامس الكفار فيما بينهم بصوت خافت، يقول بعضهم لبعض: ما بقيتم في الدنيا إلا عشرة أيام لقصر المدة وسرعة مرور الزمن.

﴿١٠٤﴾ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾

والله أعلم بما يقولون ويخفون فيما بينهم، حين يقول أسدهم رأيًا وأكثرهم علمًا: ما بقيتم في الدنيا إلا زمنًا يسيرًا، لما عاينوا من طول يوم القيامة.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾

ويسألك الكفار - أيها النبي - عن مصير الجبال، فأجبهم بأن الله سوف يصيرها هباءً منبثًا، ويزيلها من على وجه الأرض.

﴿١٠٦﴾ ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾

فيجعل الله الأرض مستوية منبسطة ملساء.

﴿١٠٧﴾ ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾

لا يشاهد الإنسان فيها ارتفاعًا ولا انخفاضًا بل على هيئة واحدة.

﴿١٠٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾

في يوم القيامة يسرع الناس إلى صوت الداعي لموقف الحشر، ليس لهم محيد ولا مفر من ذلك، وصمتت أصوات الخلائق خضوعًا ورهبةً من الرحمن، فلا تسمع إلا صوتًا خفيًا.

﴿١٠٩﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾

يوم القيامة لا تنفع الشفاعة أحدًا من الناس إلا إذا أذنَ الله لشافع، ورضي عن المشفوع له، وهذا للمؤمن الصادق.

﴿١١٠﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾

يعلم الله ما بين أيدي العباد من أمور الآخرة وما خلفهم من أمور الدنيا، ولا يحيط العباد بالله علمًا، بل علمه محيط بهم.

﴿١١١﴾ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾

وخضعت وجوه العباد لله الحي الذي لا يموت وذَلَّت له، القائم على تدبير الكون، وقد خسر وهلك يوم الحساب من أشرك بالله شيئًا.

﴿١١٢﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

ومن يعمل الأعمال الصالحة مع الإيمان بالله، فلا يخشى من ربه أن يظلمه بزيادة سيئاته أو يهضمه بنقص حسناته.

﴿١١٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾

وكما دعا الله أهل الإيمان إلى البر والإحسان، وحذَّر الكفار من المعاصي والآثام أنزل هذا القرآن على نبيه محمد ﷺ بلسان عربي مبين؛ ليفقهه الناس، وبيَّن - سبحانه - في كتابه أنواع الوعيد عسى أن يتقي الناس ربهم بالعمل بشرعه، أو لعل القرآن يحدث لهم خشية واتعاظًا فيعتبروا.

﴿١١٤﴾ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾

فتنزَّه الله الواحد القهار، وتقدَّس - سبحانه - من عزيز غفار، الملك الحق الذي قهر كل جبار، فهو الحق وكتبه ورسله حق، ووعده ووعيده حق، ولا تستعجل - أيها النبي - بتلاوة القرآن قبل أن ينتهي جبريل من تلاوته عليك، واطلب إلى ربك أن يزيدك علمًا إلى علمك، فإن العلم أفضل مطلوب، وأكرم محبوب.

﴿١١٥﴾ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾

ولقد وصَّى الله آدم من قبل أكل الشجرة ونهاه أن يأكل منها، وأخبره - سبحانه - أن الشيطان عدو له ولزوجه، ونصحه أن لا يخرجهما الشيطان من الجنة فيصيبهما الشقاء، ولكن الشيطان وسوس لهما فنسيا وصية الله لهما، ولم يبق لآدم حفظ للوصية ولا عزيمة على العمل والصبر.

﴿١١٦﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾

واذكر - أيها النبي - يوم أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم، فسجدوا غير أن إبليس عصى الله، وأبى أن يسجد لآدم.

﴿١١٧﴾ ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾

فأخبر الله آدم أن الشيطان عدو له ولزوجته حواء، فاحذر أن يخرجكما من الجنة فيصيبكم الشقاء بعد النعماء.

﴿١١٨﴾ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾

إن لك - يا آدم - عهدًا من الله أن لا تجوع في الجنة لوفرة الطعام، ولا تعرى لكثرة اللباس.

﴿١١٩﴾ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾

وأن لك - يا آدم - في الجنة أن لا تعطش لوجود الماء العذب البارد، ولا يصيبك حرّ الشمس لتمام الظل الظليل.

﴿١٢٠﴾ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾

فوسوس الشيطان لآدم وغرَّه وخدعه ومنَّاه وقال له: هل تريد أن أرشدك يا آدم إلى شجرة إذا أكلت منها بقيت في الجنة خالدًا أبدًا، وصرت ملكًا بلا انتهاء ولا انقطاع.

﴿١٢١﴾ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾

فأكل آدم وحواء من تلك الشجرة التي حذَّرهما الله منها، فظهرت عورتهما؛ لشؤم المعصية وكانت مستورة من قبل، فأخذ آدم وحواء يقطعان من أوراق شجر الجنة ويستتران به بعد انكشاف العورة، وخالف آدم أمر الله فغوى عن الرشد بمعصية الأكل من الشجرة.

﴿١٢٢﴾ ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾

ثم اصطفى الله آدم واختاره واجتباه وقرَّبه وقبل توبته وغفر خطيئته، ووفقه للهداية بعد الغواية.

﴿١٢٣﴾ ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾

أمر الله - تعالى - آدم وحواء أن يهبطا من الجنة إلى الأرض مع الشيطان، فأنتما وإبليس أعداء على الدوام، فإذا جاء بني آدم هدىً عن طريق رسل الله - عليهم السلام - فإن من آمن بهدى الله وصدق رسله فإنه راشد في الدنيا موفَّق، سعيد في الآخرة منعَّم.

﴿١٢٤﴾ ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾

ومن ترك ذكر الله والإيمان به فإن الله يجعل حياته ضيقة عسيرة شاقة لا تُطاق ولو ملك الدنيا!! ويحضره الله للحساب أعمى عن المشاهدة لا حجة له.

﴿١٢٥﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾

قال هذا المعرض المتولي عن ذكر الله: يا ربِّ، كيف أحضرتني إلى موقف الحساب وأنا أعمى وقد كنتُ أبصر قبل ذلك في الدنيا.

﴿١٢٦﴾ ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾

فأخبره - سبحانه - أنه أحضر هذا المعرض إلى الحشر أعمى؛ لأنه أعرض عن الإيمان والقرآن وطاعة الرحمن، فكما ترك الانقياد لطاعة الله في الدنيا فكذلك يُترك في جهنم.

﴿١٢٧﴾ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾

وهكذا يعذب الله من أكثر من العصيان ولم يؤمن بالرحمن وهجر القرآن، وعذاب الآخرة أفظع وأشنع وألزم وأدوم؛ لأنه لا ينقطع ولا ينقضي.

﴿١٢٨﴾ ﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾

أفلم يبيّن للكفار كم أهلك الله من الأمم السابقة لما كذبوا، والكفار يمشون في ديار وآثار أولئك المكذبين المعذبين وآثارهم، إن في هلاك أولئك الأقوام وما بقي في ديارهم من آثار لعبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين من أهل العقول السليمة والبصائر النيِّرة.

﴿١٢٩﴾ ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴾

ولولا أن الله كتب في السابق وقدَّر لهم أجلاً معلومًا لعاجلهم بالعقوبة؛ لأنهم مستحقون لها.

﴿١٣٠﴾ ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾

فاصبر - أيها النبي - على كيد الكفار وأذاهم، وسبح بحمد الله في صلاة الفجر والعصر والعشاء والظهر والمغرب؛ لأن منها ما هو قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها وفي أثناء الليل وطرفي النهار كي يأجرك الله على هذه الصلوات بما ترضى به، ويسعد خاطرك بذكره سبحانه.

﴿١٣١﴾ ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴾

ولا تنظر برغبة وإعجاب إلى ما متع الله به الكفار والفجار من متاع زائل، وزخرف منقض في دار الغرور، فهو امتحان لهم وفتنة وبلاء، ورزق الله الطيب الحلال وثوابه أفضل وأعظم وأدوم؛ لأنه لا ينقطع ولا يفنى.

﴿١٣٢﴾ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

وأمر أهلك - أيها النبي - بإقامة الصلاة واصبر على أدائها والمحافظة على أوقاتها، فإن الله لا يطلب منك مالاً، فهو الذي يرزقك، والخاتمة الصالحة والعاقبة الحسنة في كل أمر لمن اتقى ربه.

﴿١٣٣﴾ ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾

وقال الكفار: هلاَّ يأتينا النبي بعلامة ظاهرة تدل على رسالته، أوما كفاهم أن الله أنزل هذا الكتاب المعجز على النبي الأمي مصدقًا لما قبله من الكتب السماوية.

﴿١٣٤﴾ ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾

ولو أن الله أفنى هؤلاء الكفار بعذاب قبل أن يقيم عليهم الحجة بإرسال الرسول ﷺ وإنزال القرآن عليه لقالوا: يا ربنا، هلاَّ بعثت إلينا رسولاً من عندك فنؤمن بما جاء به ونهتدي بهداه من قبل أن نذل بعذابك، ونخزى بعقابك.

﴿١٣٥﴾ ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾

قل - أيها النبي - للكفار: نحن وإياكم منتظرون عواقب الأمور وتبدل الأحوال، فسوف يظهر لكم لمن العاقبة الصالحة والنصر المبين والفتح العظيم، وسوف تعلمون مَنْ أهل الهداية الذين اتبعوا الحق، ووفِّقوا للصواب.

سورة الأنبياء

مكية | ترتيبها ٢١ | آياتها ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾

دنا موعد حساب الناس على ما فعلوه في الدنيا، ومع دنو الحساب فالكفار غافلون عن الاستعداد لهذا اليوم، وهم في إعراض ولهو.

﴿٢﴾ ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾

ما يتلى عليهم من القرآن شيء يجدد لهم التذكير إلا استمعوا له بلعب واستهزاء لا بإنصات وقبول.

﴿٣﴾ ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾

غافلة قلوب الكفار عن القرآن، شغلت بالباطل وملئت بالهوى، وقد اجتمع كفار قريش وأخفوا قولهم من أن الرسول ﷺ بشر كسائر الناس؛ ليصدوا الناس بهذا الكلام عن اتباعه والإيمان به، ثم ادَّعوا أن القرآن الذي معه سحر، وقالوا: كيف تؤمنون بالسحر وتتبعونه وهو بشر وأنتم تبصرون ذلك؟

﴿٤﴾ ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

قال النبي ﷺ: الأمر لله، فهو الذي يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم ما أخفاه الكفار من حديثهم، والله السميع لما قالوه، العليم بما فعلوه، وهو تهديد للكفار ووعيد.

٥ ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾

بل كذب الكفار بالقرآن، فمنهم من قال: إن القرآن أخلاط من الأحلام لا حقيقة لها، ومن قائل: إنه كذب مفترى وليس وحيًا، ومن قائل: إن الرسول ﷺ شاعر، والقرآن شعر، ونريد أن يرينا معجزة على صدقه كناقة صالح وعصا موسى، ومثل ما جاء به الرسل من آيات محسوسات.

٦ ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

القرى التي جاءها الرسل بالمعجزات لم يصدق أهلها ولم يؤمنوا، فكيف يصدق كفار مكة إذا جاءهم محمد ﷺ بمعجزة محسوسة، كلا، فهم مثل من سبقهم مكذبون جاحدون.

٧ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وما أرسل الله قبل النبي ﷺ إلا رجالاً من الناس وليسوا ملائكة أنزل عليهم الوحي، فاسألوا يا كفار مكة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إذا جهلتم ذلك وأنكرتموه.

٨ ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾

وما خلق الله الرسل أجسادًا خارجة عن طبيعة البشر حتى لا تحتاج إلى طعام وشراب، بل الرسل في البشرية كسائر الناس، وما كتب الله للرسل الخلود في الدنيا بل يموتون كما يموت البشر.

٩ ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

ثم أنجز الله وعده لأنبيائه من نصر أوليائه وإهلاك أعدائه الذين أسرفوا في الذنوب، وتجاوزوا الحد في الطغيان.

١٠ ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

لقد أنزل الله إليكم أيها المسلمون هذا القرآن فيه عزكم وشرفكم وفلاحكم في الدنيا والآخرة إذا تذكرتم ما فيه وعملتم به، فلماذا لا تعقلون هذا الفضل العظيم وتتفكرون فيه؟!

١١ ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾

وكم أهلك الله من قرية كان أهلها ظالمين لأنفسهم بالكفر، وخلق الله بعدهم قومًا سواهم خلفوا من سبقهم.

١٢ ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾

فلما شاهد الكفار عذاب الواحد القهار قد نزل بهم ولَّوا هاربين من مساكنهم يفرون من عذاب الله.

١٣ ﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾

فنودوا بسخرية واستهزاء: إلى أين تهربون، تعالوا إلى دنياكم ولهوكم وترفكم ودوركم المشيدة، عسى أن تُسألوا لماذا فررتم وماذا دهاكم؟

١٤ ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾

فأجابوا معترفين بذنوبهم: يا هلاكنا فقد ظلمنا أنفسنا بالكفر وعدم الشكر والغفلة عن الذكر.

١٥ ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾

فما زال دعاؤهم على أنفسهم بالهلاك عادتهم، واعترافهم بالكفر ديدنهم، حتى جعلهم الله بالعذاب كالزرع المحصود، خامدين بالموت لا حياة فيهم، فاحذروا - أيها الكفار - أن يقع بكم ما وقع بهم.

١٦ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾

وما خلق الله السماء والأرض عبثًا وباطلاً، بل لحكمةٍ عظيمة من إقامة الحجة ونصب البرهان على قدرته ووحدانيته؛ ليعلم أن لا إله إلا الله ولا معبود بحقٍ سواه.

﴿١٧﴾ ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾

لو أراد الله أن يتخذ لهوًا ولعبًا لاتخذه من عنده - سبحانه - لا من عند الخلق، وما كان الله فاعلاً ذلك لاستحالة اللهو واللعب عليه، فإنه حق، وكل ما صدر عنه حق.

﴿١٨﴾ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

بل يصدم الله الباطل بالحق فيذهبه ويمحقه ويزيله فإذا هو متلاش مضمحل، وللكفار سوء العذاب في النار بسبب سوء وصفهم للواحد القهار.

﴿١٩﴾ ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾

ولله وحده ملك كل من في السموات والأرض؛ لأنه الخالق المدبر، والملائكة المقربون عند الله لا يأنفون من عبادة الله ولا يتعاظمون من الخضوع له، ولا يملون من عبادة الله ولا ينقطعون عنها.

﴿٢٠﴾ ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾

يعبدون الله ويذكرونه ويشكرونه ليلاً ونهارًا بلا انقطاع، لا يصيبهم ضعف ولا سأم لقوتهم في الطاعة ونشاطهم في العبادة.

﴿٢١﴾ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾

كيف يحق للكفار اتخاذ آلهة من دون الواحد القهار، وهي لا تستطيع إحياء الموتى، فالمحيي والمميت هو الله وحده.

﴿٢٢﴾ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

ولو كان في السموات وفي الأرض آلهة غير الله - تعالى - تسيّر أمورهما لوقع الاختلاف واختل النظام واضطرب الكون، فتقدَّس الله وتنزّه عن أن يكون معه آلهة أخرى، - وتعالى - وهو رب العرش العظيم - عما وصفه به أعداؤه الكفار من كذب وافتراء.

﴿٢٣﴾ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾

من براهين وحدانية الله - سبحانه - بالربوبية والألوهية أنه لا يسأل عن قضائه في خلقه، وجميع الخلق يسألون عما يفعلون ويحاسبون على ذلك.

﴿٢٤﴾ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

هل اتخذ الكفار من غير الله آلهة تخلق وترزق وتحيي وتميت؟ قل لهم - أيها النبي -: تعالوا بدليل صحيح على صدق ما ادعيتم من ألوهية هذه الأصنام، فهذا القرآن الذي نزل عليَّ والكتب السابقة ليس فيها دليل على صحة ذلك، فمن أين لكم هذا الادعاء؟ لكن ما أشرك الكفار إلا بجهل وتقليد، فهم معرضون عن الحق، منكرون له، ومن جهل شيئًا عاداه، ومن قلَّد جاهلاً آذاه.

﴿٢٥﴾ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾

وما أرسل الله من قبلك - أيها النبي - من رسول، إلا أوحى إلى هذا الرسول أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له، فاعبدوه مخلصين له الدين.

﴿٢٦﴾ ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾

وقال الكفار: إن الرحمن اتخذ ولدًا؛ لأنهم يقولون: إن الملائكة بنات الله؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فالملائكة عباد لله وليسوا بنات، وهم قريبون من الله، لهم المنزلة الرفيعة والمرتبة العالية.

﴿٢٧﴾ ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾

والملائكة طائعون لربهم لا يتكلمون إلا بإذن من الله، ولا يعملون عملاً دون أمر الله لهم بذلك.

﴿٢٨﴾ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾

والله يعلم أعمال الملائكة السابقة واللاحقة ويحصيها عليهم، ولا يشفعون عند الله لأحد من العباد حتى يأذن لهم بالشفاعة ويرضى عن المشفوع له، والملائكة خائفون من ربهم لا يأمنون مكره.

﴿٢٩﴾ ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

وإذا ادعى ملك من الملائكة -فرضًا- أنه إله مع الله فالله يعذبه في نار جهنم، وهذا جزاء كل ظالم لنفسه بالشرك، مدع ما ليس له.

﴿٣٠﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أو لم يعلم الكفار أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين لا يفصل بينهما فاصل، لا تمطر السماء ولا تنبت الأرض، ففصل الله بينهما بقدرته، وأنزل الغيث من السماء، وأخرج النبات من الأرض، وجعل الله من الماء كل شيء حي، أفلا يصدق هؤلاء المنكرون من الكفار بقدرة الله ووحدانيته فيؤمنوا به ويخلصوا له العبادة؟

﴿٣١﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

وأوجد الله في الأرض جبالاً ثابتة تمسك توازنها حتى لا تضطرب، وأوجد فيها طرقًا واسعة فسيحة، عسى أن يهتدي الخلق إلى ما تقوم به حياتهم ويهتدون إلى الإيمان بربهم.

﴿٣٢﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾

وجعل الله السماء سقفًا للأرض قائمة بلا عمد مع ضخامتها، وقد حفظها الله من السقوط ومن اختراق الشياطين لها، والكفار غافلون عن هذه الآيات الباهرات والبراهين الساطعات.

﴿٣٣﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

والله - تعالى - هو خالق الليل؛ لينام فيه الناس ويرتاحوا، وخلق النهار لينتشروا فيه ويعملوا، وخلق الشمس ضياءً في النهار، والقمر نورًا في الليل، ولكل من الشمس والقمر مدار يسير فيه لا يتعداه بحساب دقيق لا يحيد عن مجراه.

﴿٣٤﴾ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾

وما جعل الله لأحد قبل الرسول ﷺ البقاء الدائم في الدنيا، فإن مات الرسول ﷺ فهل يخلد أعداؤه الذين يتمنون موته بعده؟ وفيه دليل على موت الخضر؛ لأنه بشر.

﴿٣٥﴾ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

كل نفس لابد أن تموت مهما طال بها العمر في الحياة، وما بقاؤها في الدنيا إلا امتحان واختبار بالأحكام الشرعية أمرًا ونهيًا، وحلالاً وحرامًا، وبأحكام القدر خيرًا وشرًا، ويسرًا وعسرًا، ثم الرجوع إلى الله وحده يوم القيامة ليجازي كل عامل بعمله.

﴿٣٦﴾ ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾

وإذا شاهد الكفار رسول الله ﷺ سخروا منه وقالوا: انظروا إلى هذا الرجل الذي يسب آلهتكم، وكذبوا بآيات الرحمن، وأعرضوا عن الإيمان وجحدوا القرآن.

﴿٣٧﴾ ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

خلق الله الإنسان عجولاً يستعجل وقوع الأشياء، قليل الصبر والانتظار، ولهذا استعجل الكفار عذاب الله، فأخبر - سبحانه - بأنه سوف يريهم العذاب الذي يستعجلونه، وكل ما هو آت قريب، فلا داعي للاستعجال.

﴿٣٨﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

ويقول الكفار المستعجلون للعذاب استهزاءً منهم: متى يقع ذاك اليوم الذي تعدنا به يا محمد ومن معك من المؤمنين إن كنتم صادقين بأنه سوف يقع؟

﴿٣٩﴾ ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

لو يعلم الكفار ما أمامهم من أهوال وأنكال وأغلال حين لا يقدرون دفع النار عن وجوههم لما استمروا على تكذيبهم وعنادهم، ولما استعجلوا وقوع ذاك اليوم.

﴿٤٠﴾ ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

وسوف تبغتهم الساعة فجأة فيقعون في حيرة وذهول، فلا يقدرون دفع العذاب ولا يمهلون حتى يتوبوا ويستغفروا.

﴿٤١﴾ ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

ولقد سخر الكفار من رسلهم قبل الرسول ﷺ فوقع بالمستهزئين عذاب الله الذي كانوا يستهزؤون به.

﴿٤٢﴾ ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾

قل - أيها النبي - للمستعجلين عذاب الله: لا يحفظكم غير الله حافظٌ لكم يحرسكم في الليل والنهار، والنوم واليقظة من عذاب الرحمن إذا حلَّ بكم، ولكن الكفار عن عذاب الواحد القهار في إعراض وإدبار.

﴿٤٣﴾ ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾

هل للكفار آلهة تمنعهم من عذاب الله، إن هذه الآلهة لا تدفع الضر عن أنفسها، فكيف تدفعه عن غيرها، وهم لا يُجَارون من عذاب الله ولا يمنعون عقابه.

﴿٤٤﴾ ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾

لقد اغتر الكفار بطول الأعمار وفتنة الجاه والسلطان والدرهم والدينار، فأصرّوا على التكذيب والإعراض، ونسوا عقاب الله وأخذه، وسنته الماضية في أنه - سبحانه - ينقص الأرض من جوانبها بما يوقعه بالكفار من عقوبة وبأس في كل جهة من هزيمة، فهل يستطيع الكفار الخروج عن قضاء الله والامتناع من قدرته والفرار من الموت ولقاء الله عز وجل؟ هذا لا يكون أبدًا.

﴿٤٥﴾ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾

قل - أيها النبي - للكفار: ما أُخَوفكم بعذاب الله إلا بوحي من الله، وهو كتابه العظيم، غير أن الكفار لا يسمعون الوحي سماع قبول واستجابة، فلا يؤمنون به.

﴿٤٦﴾ ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾

لو أصاب الكفار نصيب من عذاب الجبار لعلموا عاقبة التكذيب والإنكار، ولدعوا على أنفسهم بالهلاك والدمار؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بعبادة الأصنام والأحجار.

﴿٤٧﴾ ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾

وينصب الله يوم القيامة للحسنات والسيئات الميزان العادل، ولا يظلم الله أحدًا من العباد شيئًا بزيادة السيئات أو نقص الحسنات، ولو كان عمل العامل قدر ذرة من خير أو شر، حفظه الله لصاحبه وجازاه به، وكفى بالله محصيًا عمل الناس، ومثيبًا ومعاقبًا لهم.

٤٨ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

ولقد أعطى الله موسى وهارون حجة بيّنة ونصرًا مبينًا، وأعطاهما التوراة فَرَّقَ به بين الحق والباطل ونورًا يستضيء به من اتقى ربه واتبع هداه.

٤٩ ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾

الذين يراقبون ربهم ويخافون عقابه وهم على حذر من يوم العرض على الله، يوم تقوم الساعة هم آمنون.

٥٠ ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾

وهذا القرآن الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ ذكر لمن اهتدى به، وهو عظيم النفع كثير البركة، أفتنكرونه وهو كامل البيان، واضح البرهان.

٥١ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾

ولقد أعطى الله إبراهيم هداه، ووفقه لرضاه، وكان قبل موسى وهارون، وكان الله يعلم أن إبراهيم أهل للاصطفاء والاجتباء.

٥٢ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾

حين قال إبراهيم لأبيه وقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها والأوثان التي نحتموها ثم لزمتموها للعبادة، وأدمتم العكوف عندها؟!

٥٣ ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾

قال قوم إبراهيم: نشأنا فوجدنا آباءنا يعبدون الأصنام فعبدناها كما عبدوها.

٥٤ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

قال إبراهيم لقومه: أنتم وآباؤكم ضلالٌ غاوون بعبادتكم هذه الأوثان من دون الرحمن، وهذا خذلان وخسران.

٥٥ ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾

قال قوم إبراهيم له: هل هذا الكلام الذي تقوله لنا حق وصدق، أم باطل وكذب تريد أن تستهزئ بنا وتلعب بعقولنا؟!

٥٦ ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

فقال لهم إبراهيم: بل ربكم الله الذي لا إله إلا هو الذي خلق السموات والأرض، وأنا أشهد على صدق ذلك وصحته.

٥٧ ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾

وتالله لأحاربنَّ أصنامكم في خفاء، وأمكر بها وأكسرها بعدما تذهبون عنها وتغيبون.

٥٨ ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾

فكسَّر إبراهيم الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة، وأبقى كبيرها ليعود القوم إليه فيسألوه؛ ليظهر عجزهم وخطؤهم، ويقوم الدليل العملي على قبح ما فعلوه من شرك.

٥٩ ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

وعاد قومه ووجدوا الأصنام مكسرة محطَّمة، فتساءلوا فيما بينهم: من الذي حطَّم أصنامنا؟ إنه متعدٍ ظالم؛ لأنه في نظرهم أهان ما حقه التعظيم.

٦٠ ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾

قال بعض من سمع إبراهيم وهو يتوعد الأصنام: سمعنا شابًا يُسمَّى إبراهيم يسبُّ الأصنام، فالتهمة لاصقة به.

﴿٦١﴾ ﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾

قال أشرافهم: فتعالوا بإبراهيم على مشهدٍ من الناس ليعترف أمامهم بما فعل؛ لتقوم عليه الحجة بشهادة الشهود.

﴿٦٢﴾ ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓـَٔابْرَٰهِيمُ ﴾

وأحضروا إبراهيم وسألوه منكرين لفعله: أأنت الذي حطَّمت أصنامنا؟

﴿٦٣﴾ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾

وفضحهم إبراهيم على رؤوس الأشهاد وعرَّض بحمقهم وغباوتهم وقال: بل الذي حطَّم أصنامكم هو هذا الصنم الكبير!! فاسألوا أصنامكم عن ذلك إن كان فيها حياة تستطيع أن تتكلم، فبُهِتوا وغُلِبوا.

﴿٦٤﴾ ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

فوقعوا في حَيْرة وظهر لهم ضلالهم وسفههم إذ كيف يُعبد صنم لا يدفع الضر عن نفسه فضلاً عن أن يدفعه عن غيره، وهي لا تجيب سائلاً، فكيف يطلب منها قضاء الحاجات؟

﴿٦٥﴾ ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾

ثم عادوا إلى الباطل وكابروا وقلبوا الأمر واحتجوا على إبراهيم بحجة باطلة هي عليهم لا لهم، وقالوا: كيف نسأل الأصنام وهي لا تتكلم؟

﴿٦٦﴾ ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾

قال إبراهيم منكرًا فعلهم: كيف تعبدون من دون الله أصنامًا لا تنفع إذا عُبدت، ولا تضر إذا تُركت؟!

﴿٦٧﴾ ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

قبحًا وخيبة لكم ولأصنامكم التي اتخذتموها آلهةً من دون الله، أفلا تفكرون بعقولكم، قُبْحَ فعلكم فتعودوا إلى رشدكم؟!

﴿٦٨﴾ ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾

لما غلبهم إبراهيم بالحجة والبرهان استعملوا ضده القوة والسلطان، وقالوا: أحرقوا إبراهيم بالنار انتقامًا لأصنامكم وانتصارًا لها، فأشعلوا نارًا عظيمة، وألقوا إبراهيم في النار فقال: "حسبنا الله ونعم الوكيل".

﴿٦٩﴾ ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾

فأنجى الله إبراهيم من النار، وقال للنار: كوني بردًا بلا حرارة، وسلامًا بلا أذى، فلم يصبه مكروه!!

﴿٧٠﴾ ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾

وأراد الكفار بإبراهيم هلاكًا فأبطل الله مكرهم، وقهرهم وأذلَّهم.

﴿٧١﴾ ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾

ونجى الله إبراهيم ولوطًا الذي صدَّق به واتبعه ونقلهما من العراق إلى الشام المباركة بكثرة الثمار ووفرة الخير، وهي أرض الأنبياء عليهم السلام.

﴿٧٢﴾ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾

ورزق الله إبراهيم ابنًا هو إسحاق، وحفيدًا هو يعقوب بن إسحاق، وكل من الجد والأب والابن صالحون طائعون لربهم، أخيار أبرار.

﴿٧٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾

وجعل الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب قدوة لعباده، يدعون إلى طاعته ويعملون بشرعه، وأوحى الله إليهم فعل الخيرات من الأعمال الصالحات، وإقام الصلاة على أتم وجه، وإيتاء الزكاة، فقاموا بذلك خير قيام، وكانوا طائعين لربهم منقادين لأمره تعالى.

﴿٧٤﴾ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾

وآتى الله لوطًا النبوة، والعلم النافع والحكمة في القول والعمل والفصل بين الناس، وأنقذه الله من قرية سَدُوم التي كان يعمل أهلها الخبائث، فكانوا بهذه الفواحش والمنكرات أهل قبح وفجور وشر، خارجين عن طاعة الله تعالى.

﴿٧٥﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

واجتباه الله وأتم نعمته عليه فأنجاه من العذاب؛ لأنه كان طائعًا لربه عاملاً بما يحبه ويرضاه.

﴿٧٦﴾ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾

واذكر - أيها النبي - نبي الله نوحًا حين دعا ربه من قبلك وقبل إبراهيم ولوط فاستجاب الله دعاءه ونجاه هو والمؤمنين من أهله من الغم الكبير والخطر العظيم.

﴿٧٧﴾ ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

ونصر الله نوحًا على قومه المكذبين بآيات الله، إنهم كانوا أهل قبح وفجور، فأغرقهم الله بالطوفان أجمعين.

﴿٧٨﴾ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾

واذكر - أيها النبي - داود وابنه سليمان - عليهما السلام - إذ حكما في قضية غنم رجل عَدَت على مزرعة رجل آخر، حيث أتلفت زرعها ليلاً، فحكم داود أن الغنم لصاحب الزرع عوضًا مما أتلفته الغنم من زرعه، وكان الله شاهدًا على حكمهم.

﴿٧٩﴾ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾

ففهَّم الله سليمان حكمًا عادلاً لا ضرر على صاحب الغنم فيه، ولا ضرار بصاحب الزرع، فحكم على صاحب الغنم أن يسلم غنمه لصاحب الزرع لينتفع بغنمه، ويأخذ مزرعة الرجل ليصلحَ ما أتلفته غنمه، فإذا عادت المزرعة كحالها قبل التلف ردَّ المزرعة على صاحبها وأخذ غنمه بعدما انتفع صاحب الزرع من لبنها وصوفها تلك المدة، وكل من داود وسليمان أعطاهما الله علمًا نافعًا وفصلاً بين الخصومات ونظرًا سديدًا، وطوَّع الله الجبال لداود تسبح معه إذا سبَّح، وكذلك الطير، وكان الله فاعلاً لذلك بقدرته ومشيئته تعالى.

﴿٨٠﴾ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾

وعلَّم الله داود صناعة الدروع، فعرف كيف يجعل المسمار على قدر الحلقة؛ لتقيكم هذه الدروع أذى الأعداء عند القتال، فهل تشكرون نعمة الله عليكم حيث وفق داود لهذا العمل، ثم انتشرت هذه الصناعة في الناس بفضل الله تعالى؟

﴿٨١﴾ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾

وطوَّع الله الريح شديدة الهبوب لسليمان تأتمر بأمره وتنقله ومن معه إلى بيت المقدس بالشام، حيث الأرض الخصبة الطيبة كثيرة الخيرات، وقد أحاط علم الله بكل الأشياء لا تخفى منها خافية.

﴿٨٢﴾ ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾

وطوَّع الله لسليمان الشياطين يعملون في أعمال يعجز عنها غيرهم، كالغوص في البحر واستخراج اللؤلؤ، وهم ينفذون أمره، والله يحفظهم بقوته وقدرته لهذه المهمة.

﴿٨٣﴾ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

واذكر - أيها الرسول - نبي الله أيوب ﷺ إذ ابتلاه الله بفقد الأهل ومرض الجسم وذهاب المال، فصبر واحتسب، ولجأ إلى ربه ودعا مولاه إن الضُّرَ قد أصابني فاكشف ما بي، وأنت أرحم الراحمين.

﴿٨٤﴾ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾

فاستجاب الله دعوته وفرَّج كربته وردّ عليه أهله وعافاه من البلاء، ورزقه مالاً كثيرًا مضاعفًا تفضلاً من الله ومنَّة، وليكون أيوب أسوة لكل مبتلى أن يصبر ويدعو وينتظر الفرج؛ ليكشف الله ما به.

﴿٨٥﴾ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

واذكر - أيها النبي - إسماعيل وإدريس وذا الكفل حيث صبروا على الطاعات، وصبروا عن المعاصي، وصبروا على مرِّ القضاء، فاستحقوا الأجر وحسن الذكر.

﴿٨٦﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

وأدخل الله هؤلاء الأنبياء في رحمته وفي كنف رعايته؛ لأنهم أصلحوا ما بينهم وبينه بالعمل بطاعته وترك معاصيه.

﴿٨٧﴾ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

واذكر ذا النون: يونس بن متى إذ خرج من بين ظُهْراني قومه لما ردوا دعوته ولم يقبلوا منه، وظن أن الله لن يضيّق عليه ولن يؤاخذه بهذه المخالفة، فضيّق الله عليه في بطن الحوت، فدعا ربه في ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت تائبًا مستغفرًا قائلاً: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين".

﴿٨٨﴾ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

فاستجاب الله دعوته وأنقذه وخلّصه من الغم والشدة، وهذه سنة الله في كل مؤمن صادق يجعل له بعد كل عسر يسرًا، وبعد كل كرب فرجًا.

﴿٨٩﴾ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾

واذكر زكريا النبي الكريم إذ دعا ربه أن لا يتركه وحيدًا بلا ولد يرث العلم والحكمة والنبوة، وأنت خير الباقين، وخير من يخلف كل ميت، فالله الباقي بعد فناء خلقه.

﴿٩٠﴾ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾

فاستجاب الله دعاء زكريا وأعطاه على الكِبَرِ يحيى، وجعل زوجته صالحة تستطيع أن تحمل وأن تلد وكانت عاقرًا، إنهم كانوا يسابقون إلى الخير، ويبادرون إلى البر والمعروف، ويدعون الله راغبين في ثوابه خائفين من عقابه، وكانوا خاضعين لله منقادين لأمره متواضعين لعباده.

﴿٩١﴾ ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾

واذكر قصة مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها من الحرام، فأمر الله جبريل أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها فحملت بعيسى ﷺ من غير زوج، فكانت هي وابنها علامة بينة على قدرة الله - تعالى - يعتبر بها الناس أمة بعد أمة.

﴿٩٢﴾ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾

جميع الأنبياء دينهم الإسلام، والله وحده هو الخالق الرازق المدبر، فأخْلِصُوا له العبادة ولا تشركوا به شيئًا.

﴿٩٣﴾ ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾

وتفرَّق الناس على الأنبياء، واختلف أتباعهم شيعًا وأحزابًا، وكثير منهم أشرك بربه، والجميع سيعود إلى الله ليحاسبهم على ما فعلوا.

﴿٩٤﴾ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾

فمن تمسك بالإيمان بالله ورسله وعمل ما استطاع من عملٍ صالح يريد به الله، فلن يبطل الله عمله، ولن يحبط سعيه، بل عمله مكتوب محفوظ عند الله، يجده يوم القيامة.

﴿٩٥﴾ ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾

ومستحيل على أهل القرى التي أهلكها الله بسبب الكفر أن يعودوا إلى الدنيا قبل يوم القيامة؛ ليتوبوا ويندموا على ما فعلوا.

﴿٩٦﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾

فإذا فتح سد يأجوج ومأجوج خرجوا من كل مكان مرتفع ينتشرون في بقاع الأرض.

﴿٩٧﴾ ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾

وحان يوم القيامة، فلشدة هوله أصبحت أبصار الكفار مفتوحة لا تطرف، يقولون: يا ويلنا ويا حسرتنا كنا نلهو ونلعب في دنيانا فكنا بذلك ظالمين لأنفسنا بالإعراض عن دين الله تعالى.

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾

إنكم - أيها الكفار - أنتم وما تعبدونه من أخشاب وأحجار وقود للنار أنتم فيها داخلون مع الفجار.

﴿٩٩﴾ ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

لو كانت الأصنام التي عبدتموها - أيها الكفار - آلهة تستحق العبادة ما دخلت معكم النار، وأنتم وآلهتكم التي عبدتموها من دون الله خالدون في نار جهنم.

﴿١٠٠﴾ ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ﴾

لهؤلاء الكفار المعذبين في النار آهات وأنين من شدة العذاب، تتردد من صدورهم لشدة الكرب والضيق، وهم في النار لا يسمعون شيئًا من شدة الأنكال وكثرة الأهوال.

﴿١٠١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾

إن الذين سبقت لهم من الله السعادة في قضاء الله وقدره أولئك ناجون من النار لا يدخلونها ولا ينالهم من الله الأذى، فقد وفَّقهم الله لأسباب النجاة، وهداهم إلى طريق الفوز.

﴿١٠٢﴾ ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾

لا يسمعون صوت لهيب النار وأصوات المعذبين فيها، فقد فازوا بالرضوان في الجنان بجوار الرحمن، عندهم ما تحبه أنفسهم من كل ما لذَّ وطاب من لباس ومنظر ومتعة ولذة وطعام وشراب مع الإقامة الدائمة.

﴿١٠٣﴾ ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾

لا يخافون من الهول العظيم، ولا يفزعون يوم يفزع الناس، نالوا الثواب وأمنوا من العذاب، وتستقبلهم الملائكة بالبشرى، هذا هو اليوم الذي وعدكم فيه ربكم الفوز العظيم والفلاح الكبير.

﴿١٠٤﴾ ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾

يوم يطوي الله السماء كطي الصحيفة على ما سُطِّر فيها، ويبعث الله الناس على صورتهم الأولى التي أنشأهم عليها مثلما أتت بهم أمهاتهم، وهذا وعد من الله لا يخلف الله وعده؛ لأنه فاعل ما وعد لا رادَّ لما أراد.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

ولقد كتب الله وقدَّر في الكتب المنزَّلة بعدما كتب في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها الصالحون من عباد الله، الذين أطاعوه وعبدوه حق عبادته، فاستحقوا الاستخلاف في الأرض.

﴿١٠٦﴾ ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾

إن في هذا المتلو من كتاب الله في هذا الشأن لموعظة كافية لمن عبد ربه بما شرعه، ففعل المأمور، وترك المحذور.

﴿١٠٧﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

وما أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ إلا رحمة للخلق جميعًا، فمن اتبعه وآمن بما جاء به سعد سعادة لا شقاء بعدها، ونال خيري الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بما جاء به خاب وخسر وشقي وضل ضلالاً مبينًا.

﴿١٠٨﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

قل - أيها النبي -: إن الله أوحى إليّ أنما الإله الذي يستحق العبادة وحده هو الله الذي لا إله إلا هو لا شريك له، فأسلموا لله وانقادوا لدينه واتبعوا رسوله ﷺ.

﴿١٠٩﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾

فإن أعرض الكفار عن الإسلام فقل لهم: أبلغكم كلكم ما أنزله الله إليَّ، وأقيم عليكم الحجة حتى أستوي أنا وإياكم في العلم بهذا البلاغ من عند الله، ولا علم لي هل العذاب الذي وعدتم به قريب نزوله أم بعيد؟ فالعلم عند الله، فأنا مُنْذِرٌ بالعذاب، مُخْبِرٌ عن وقت العقاب.

﴿١١٠﴾ ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾

إن الله وحده يعلم ما تعلنونه من أقوال وما تسرونه، لا تخفى عليه خافية، وسوف يجازيكم على ذلك.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾

ولا أعلم لعل تأجيل عقوبتكم استدراج لكم لزيادة إثمكم وتمتعكم بشهوات الدنيا الزائلة إلى أجل معلوم.

﴿١١٢﴾ ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

قال الرسول ﷺ: يا رب، اقض بيننا وبين الكفار بالعدل، فأكرم الصادق، وعاقب الكاذب، وربّنا وحده هو الرحمن الذي نستعين به على افترائكم وكيدكم وعذابكم.

مدنية

سورة الحج

ترتيبها ٢٢

آياتها ٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

يا عباد الله: خافوا عذاب الله بتقوى الله، فإن ما سوف يقع من أهوال القيامة كاضطراب الأرض وحركتها الشديدة شيء يفوق الوصف، ويذهل العقل، لا يعلم هَوْلَه إلا الله وحده.

﴿ ٢ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

يوم يشاهد الناس قيام الساعة تنسى الأم رضيعها الذي يلقم ثديها لِما رأت من الهول، وتذهل عقول الناس كأنهم سكارى من شدة الخوف والهلع وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة العذاب أذهبت عقولهم وأزالت إدراكهم.

﴿ ٣ ﴾ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾

وبعض الكفار يخاصمون بالباطل في قدرة الله على إعادة الناس بعد الموت، وليس لهم علم بهذه القدرة، وإنما يقتدون بأئمة الضلال من كل شيطان عاصٍ لله متمرد على طاعته.

﴿ ٤ ﴾ ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

قدّر الله على هذا الشيطان أنه يغوي كل من اقتدى به ويصرفه عن الهداية ويسوقه إلى النار الموقدة نكالاً له على ضلاله.

﴿ ٥ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾

يا أيها الناس: إن شككتم في قدرة الباري على إحياء الموتى فإن الله خلق أباكم آدم من طين، ثم خلق ذريته من نطفة من ماء الرجل وماء المرأة، ثم يجعله - سبحانه - علقة من دمٍ أحمر غليظ، ثم قطعة لحم صغيرة مثل المضغة من الطعام، فمرة تكون كاملة الخلق تخرج جنينًا حيًا ومرة تكون ناقصة الخلق فتسقط قبل الولادة الكاملة، ليظهر الله لعباده كمال قدرته في أحوال خلق الإنسان، ويبقي الله - سبحانه - النطفة في الرحم ما شاء من الزمن، ويكمل الله خلق الإنسان في بطن أمه طفلاً، ثم بعد ولادته يربيه حتى يبلغ تمام قوته وهو سن الفتوة والقوة وتمام العقل، وبعض الناس يموت في طفولته وبعضهم يبقيه إلى سن الشيخوخة والهرم، فينسى هذا المعمر ما كان يحفظه من قبل، ويجهل ما كان يعلمه، وأنت تشاهد الأرض يابسة قاحلة ميتة لا شجر فيها ولا نبات، فإذا أنزل الله عليها الماء من السماء تشققت بالنبات وارتفع على وجه الأرض نباتها واكتمل حسنها، وظهرت نضرتها وخضرتها حتى صارت في صورة بهية ومنظر بهيج يسر الناظرين.

﴿ ٦ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

هذه الآيات والعلامات برهان قاطع على أن الله هو الرب المعبود بحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يجوز أن يُشرك به غيره؛ لأنه الذي يحيي الأموات وهو قادر على كل شيء لا يعجزه أمر أراده سبحانه.

﴿ ٧ ﴾ ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾

وأن قيام الساعة واقع لا محالة ولا شك في ذلك، وأن الله سوف يخرج الأموات أحياءً من قبورهم للحساب.

﴿ ٨ ﴾ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾

وبعض الكفار يخاصم بالباطل في الله وتوحيده وقدرته، والبعث بعد الموت، والقرآن والرسول ﷺ، وليس عنده دليل ولا برهان، وإنما بالجهل والكذب، فلا علم عند هذا المجادل يبصر به الحق، ولا حجة يغلب بها من خالفه، ولا كتاب من الله عند هذا المخاصم يفرق به بين الحق والباطل.

٩ ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾

يلوي عنقه من الكبر، يعرض عن الهدى، فسوف يفضحه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة لكذبه وكفره وضلاله، ويحرقه في نار جهنم جزاءً على قبيح عمله.

١٠ ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

ويُقال لهذا الكافر المتجبر: هذه العقوبة بسبب عملك القبيح، وفعلك السيء، والله لا يعاقب عبدًا بلا إثم.

١١ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾

وبعض الناس يعتنق الإسلام وعنده شك وحَيْرة، وليس عنده يقين في دينه، فيعبد الله وهو متردد كالقائم على طرف الجدار قلقًا متذبذبًا، ودينه تبع لدنياه، فإن حصلت له العافية والمال والبنون ثبت على طاعة الله، وإن وقعت له مصيبة أو مكروه أو فقر تشاءم من الإسلام وارتد إلى الكفر، كالذي ينقلب من وجهه على قفاه، فهو بهذا العمل خسر دنياه وأخراه، إذ إنّ رِدّته لا تكشف كربته ولا تفرج شدته، وفي الآخرة مصيره النار، وهذا غاية الخسران والخذلان.

١٢ ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾

هذا الكافر الجاحد المتردد يعبد غير الله مما لا يضره إذا ترك عبادته، ولا ينفعه إذا عبده، وهذه نهاية الغواية والانحراف عن الطريق المستقيم.

١٣ ﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾

هذا الكافر يعبد ويسأل من ضرره وشرُّه أقرب من نفعه وخيره، قبَّح الله ذلك المعبود من نصير يُنتصر به، وقبَّح الله ذلك العشير من صاحب يُرجى عونه.

١٤ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

إن الله يدخل المؤمنين الصالحين جنات النعيم التي تجري أنهارها من تحت أشجارها، إن الله يفعل ما يشاء من ثواب الصالحين فضلاً، وعقاب الفجار عدلاً.

١٥ ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾

من كان يعتقد أن الله - تعالى - لن ينصر نبيه ﷺ ويظهر دينه ويؤيد أولياءه في الدنيا ويرفع درجاتهم في الآخرة، فليربط حبلاً بسقف بيته، ثم يخنق نفسه بهذا الحبل، ثم لينظر هل يذهبن ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ؟ والله سوف ينصر رسوله ﷺ ويظهر دينه على رغم أنف من شك أو كره.

١٦ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾

وكما أن الله أظهر البرهان للكفار على قدرته بإحياء الموتى أنزل القرآن واضح الآيات، ميسَّر الفهم، يهدي الله بكتابه من شاء من عباده، فلا هادي غيره تعالى.

١٧ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

إن من آمن بالله واتبع رسوله ﷺ واليهود والصابئين (وهم الذين بقوا على فطرتهم بلا دين معلوم عنهم، وقيل فرقة من النصارى) وكذلك النصارى والمجوس عبدة النار، والمشركون عبدة الأصنام، إن الله سوف يحكم بينهم يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكفار النار، إن الله شاهد على كل نفس بما كسبت، عالم بجزاء كل أحد على حسب عمله الذي اطلع عليه، وحفظ وشهد عليه به.

﴿١٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾

ألم تعلم أن الله يخضع له وينقاد ويذل له ويخشع كل مخلوق في السموات من الملائكة وفي الأرض من شمس وقمر ونجوم وجبال وشجر ودواب، وكثير من الناس، وهم المؤمنون أتباع الرسل، وكثير من الناس كتب الله عليهم العذاب فهم في خسران ومهانة، وإذا أهان الله أحدًا فلن يكرمه أحد، إن الله يفعل في خلقه ما أراد، لا معارض في مشيئته ولا راد.

﴿١٩﴾ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾

هاتان طائفتان اختلفوا في ربهم: المؤمنون والكفار، كلٌ يدعي أنه مصيب في عبادته، فالكفار فُصِّلت لهم ثياب من نار جهنم يلبسونها، تحرق أجسامهم، وتشوي وجوههم، ويصب على رؤوسهم الماء شديد الحرارة.

﴿٢٠﴾ ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾

يذيب ما بداخل بطون الكفار، ثم يصل إلى الجلود فيشويها فتتقطع وتتمزَّع.

﴿٢١﴾ ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾

وتضرب الملائكةُ الكفارَ على رؤوسهم بعصي غليظة مصنوعة من حديد على رؤوسهم.

﴿٢٢﴾ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

كلما حاول الكفار الخروج من النار لشدة الأنكال والأغلال والأهوال رُدّوا إليها، وقيل لهم تبكيتًا: ذوقوا عذاب النار المحرق لأجسامكم.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

إن الله يدخل المؤمنين الصالحين جنات تجري الأنهار من تحت أشجارها وقصورها ودورها، في نعيم دائم، يزين الله فيها أهل الجنة بأساور الذهب واللؤلؤ في أيديهم، ويلبسون الحرير الناعم، يشترك في ذلك الرجال والنساء.

﴿٢٤﴾ ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾

والله أرشد عباده الصالحين في الدنيا إلى أحسن الكلام من توحيد وتسبيح وعلم نافع وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر ونحوه، وأرشدهم في الجنة إلى حمده وشكره على حسن الثواب وعظيم الأجر، وقد أرشدهم إلى الصراط المستقيم من الإيمان به واتباع رضوانه والعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

إن الكفار الصادين عن طريق الهداية المحاربين لله ولرسوله ﷺ، والذين يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام كما حصل عام (الحديبية) والمسجد الحرام هو قبلة لجميع المسلمين سواء المقيم فيه والقادم إليه، ومن نوى في المسجد الحرام الميل عن الحق وتجاوز حدود الله بمعصية ربه يذيقه الله عذابًا شديدًا موجعًا.

﴿٢٦﴾ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

واذكر حين مهَّد الله لإبراهيم مكان الكعبة وهيأه له ودلَّه عليه، ولم يكن معروفًا، وأمره ربه أن يؤسسه على تقوى منه ورضوان وتوحيد له وإيمان به، وأن يطهره من الكفر والنجاسات؛ ليكون مهيأً للطائفين والقائمين والراكعين والساجدين في حال صلاتهم.

﴿٢٧﴾ ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

وأعلن - يا إبراهيم - لعموم الناس بالحج إلى بيت الله، يجيبوا دعوتك مشياً على الأقدام وركوباً على كل ضامر من الإبل (وهو خفيف اللحم لنشاطه) يأتين من كل طريق بعيد.

﴿٢٨﴾ ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾

ليحضر الناس منافعهم من تكفير سيئات، وكسب حسنات وربح في تجارات وأداء طاعات وغير ذلك من الخيرات، وليذكروا اسم الله عند نحر وذبح الإبل والبقر والغنم في أيام محددة معلومة، وهي العاشر وثلاثة أيام بعده، شاكرين لله ما أنعم به عليهم. ويستحب لهم الأكل من هذه الذبائح، وإطعام الفقير شديد البؤس.

﴿٢٩﴾ ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾

ثم يكمل الناس ما بقي عليهم بالتحلل من الإحرام وإزالة وسخ البدن وتقليم الأظافر وحلق الشعر؛ وليوفوا ما ألزموا به أنفسهم من حج أو عمرة أو هدي أو قربة، وليطوفوا ببيت الله، القديم بناؤه، الذي أعتقه الله من استيلاء الجبابرة عليه.

﴿٣٠﴾ ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾

ذلك المذكور من إكمال ما بقي من النسك وقضاء التفث والوفاء بالنذر والطواف بالبيت هو ما شرعه الله للحج، فالواجب تعظيمه، ومن يعظم حرمات الله بأدائها على أكمل وجه متبعًا فيها الرسول ﷺ فهو خير له في دنياه وأخراه، وأباح الله لعباده أكل الأنعام إلا ما استثناه كالميتة وغيرها، فالواجب اجتنابها، فابتعدوا عن قذارة الأوثان، وعن الافتراء على الله والكذب على عباده؛ لأن الرجس فساد العمل، والزور فساد القول.

﴿٣١﴾ ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

مستقيمين على ملة التوحيد، ثابتين على الإسلام دين الفطرة من إخلاص العبادة لله ومتابعة رسوله ﷺ، لا يشركون بالله شيئًا قد كفروا بما سواه من المعبودات والطواغيت، فمثل المشرك بالله في بعده عن الحق وفي هوانه وسقوطه من قمة الإسلام إلى حضيض الشرك مع اجتذاب الشياطين له من كل جهة، كمثل من سقط من علو شاهق مرتفع، فإما أن تخطفه الطير فتقطع جسمه، وإما أن تحمله رياح عاتية عاصفة فترمي به في محل ناءٍ قاص.

﴿٣٢﴾ ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

ذلك الذي ذُكِرَ هو ما أوجبه الله على عباده من التوحيد وإخلاص العبادة له، والذي يستجيب لربه ويعظم ما عظّمه الله من أعمال الطاعات كمناسك الحج فهذا التعظيم يدل على خشية قلب صاحبه وتقواه ومراقبته لمولاه.

﴿٣٣﴾ ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾

لكم - أيها الناس - انتفاع بالهدي الذي تسوقونه إلى الحرم من ركوبها وصوفها ولبنها حتى تذبح عند البيت العتيق، وهو كل الحرم.

﴿٣٤﴾ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾

ولكل طائفة من المؤمنين السابقين جعل الله مناسك من الذبائح تقربًا إليه - سبحانه - لكي يذكروا اسم الله وحده عند الذبح ويشكروه؛ لأنه رزقهم هذه البهائم للانتفاع بها، فإلهكم المعبود بحق - أيها العباد - هو الله وحده،

فأطيعوه وأخلصوا له العبادة، واتبعوا هدي رسوله ﷺ، وبشر - أيها النبي - المؤمنين المتواضعين الخاضعين لربهم بكل خير من سعادة الدنيا والفوز بجنات النعيم.

﴿٣٥﴾ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾

هؤلاء المتواضعون إذا ذكر الله - تعالى - خشعت قلوبهم وخافوا من عذابه ومكره وأخذه، فاجتنبوا معاصيه، وإذا أصابهم مكروه وحلَّت بهم مصيبة صبروا امتثالاً لأمر الله واحتسابًا للثواب من الله، مع المحافظة على الصلاة بأدائها على أكمل وجه، وهم يتصدقون مما أعطاهم الله في النفقات الواجبة والمستحبة من زكاة ونفقة على أهل وقريب وفقير ومسكين وغير ذلك من أبواب الخير.

﴿٣٦﴾ ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

وجعل الله نحر البُدْن من علامات الدين ونسك المسلمين؛ لتكون قربة إلى الله، ولمن يتقرب بها إلى الله خير في الدنيا من الأكل والصدقة، وفي الآخرة الثواب العظيم والأجر الجزيل، وليقل الذابح عند ذبحه: "بسم الله" والإبل تنحر وهي واقفة، تُصف ثلاث من قوائمها وتقيد الرابعة، فإذا سقطت البدن على جنوبها أرضًا فقد أباح الله أكلها، فيأكل منها من تقرب بها إلى الله عبادةً، ويُطعم الفقير الذي لا يسأل الناس تعففًا، والفقير الذي يسأل لفقره، والله هو الذي ذلّل لكم البدن في منافعكم حتى تشكروا الله على هذه النعم.

﴿٣٧﴾ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

لن يصل إلى الله من لحوم هذه الذبائح ولا من دمائها شيء، فهو - سبحانه - غني عمن سواه، ولكن يصله الإخلاص منكم وقصد وجهه وحده، والله قد جعل هذه البدن ذليلة لكم لتعظموا الله بالتقرب بها إليه؛ لأنه الذي وفقكم للاستقامة وأرشدكم إلى الهدى، ولتشكروه - سبحانه - على نعمه، وبشر - أيها النبي - من أحسن من أمتك بإحسان عبادة الخالق والإحسان للمخلوق بكل أجر عظيم وفوز كريم.

﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾

إن الله يدفع عن الأبرار أذى الأشرار وكيد الفجار وعداوة الكفار؛ لأنه لا يحب الخائن للأمانة، الجحود لنعمة ربه؛ لأنه أساء في الأمانة وفي الإيمان.

﴿٣٩﴾ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

لم يأذن الله للمسلمين في أول الأمر بقتال الكفار، بل أمرهم بالصبر والصفح عن الأذى، فلما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة وأصبح للإسلام قوة أذن الله للمسلمين بقتال الكافرين؛ لأن الظلم وقع على المسلمين من أذى وإخراج من الديار، وقد وعدهم الله بنصره، وهو قدير على إعزاز أوليائه وإذلال أعدائه.

﴿٤٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾

الذين طُردوا من أوطانهم طردًا لا لجرم فعلوه، وإنما قالوا: ربنا الله وحده، ولولا أن الله أمر بدفع الظالم وصاحب الباطل بالجهاد بأنواعه لساد الباطل وهُزم الحق، وعلا الكفار وذلَّ الأبرار، وخربت الديار، وهُدمت مواطن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين المعدة للصلاة ولذكر الله تعالى. ومَنْ نَصَرَ دين الله وجاهد في سبيله بلسانه وقلمه ويده ونفسه وماله نصره الله وأعزه في الدنيا والآخرة، فإن الله قوي لا يُغالب، يقهر من حاربه، عزيز لا يُرام، أخذ بنواصي الخلائق وتفرَّد بالعظمة والجبروت.

﴿٤١﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾

الذين وعدهم الله بنصره هم الذين إذا مكَّن الله لهم وأظهرهم على عدوهم واستخلفهم في الأرض أقاموا الصلاة على الوجه الذي شرعه الله من محافظة على وقت وأداء على السنة، ودفعوا زكاة المال لمستحقيها، وأمروا الناس بكل حق لله، وحق لعباده مشروع، ونهوا عن كل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، ومرجع كل أمر إلى الله، ومنتهى كل شيء إليه وحده، - سبحانه - والعاقبة للمتقين.

﴿٤٢﴾ ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾

وإن كان قومك - أيها النبي - كذبوك فلك أسوة في الأنبياء مثلك، فقد كذب قوم نوح وعاد وثمود.

﴿٤٣﴾ ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾

وكذَّب قوم إبراهيم وقوم لوط وحاربوا الرسولين الكريمين.

﴿٤٤﴾ ﴿ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

وكذّب أصحاب مدين شعيبًا، وكذب فرعون وقومه موسى، فأمهل الله لهؤلاء المكذبين، ثم أهلكهم بالعذاب، فانظر ما أعظم إنكار الله عليهم لما كذبوا كيف أبادهم ونكَّل بهم؟

﴿٤٥﴾ ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾

فكم من قرية أهلكها الله ودمَّرها، فالمنازل خراب لا سكان فيها، والآبار لا يستقى منها؛ لأنه لا أنيسَ ولا حيًا حولها، والقصور الشاهقة المشيدة المزخرفة لم تمنع أهلها من إهلاكنا.

﴿٤٦﴾ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾

أفلم يسر الكفار في الديار ليشاهدوا الآثار، فقد أهلك الله المكذبين، فلماذا لا يعتبر هؤلاء بمصارع أولئك فيفكروا بعقولهم ويسمعوا أخبار الماضين بتدبر فيتعظوا، فالعمى ليس عمى البصر لكن عمى البصيرة إذا أصيبت بالزيغ والحيرة.

﴿٤٧﴾ ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

ويستعجلك الكفار - أيها النبي - بعذاب الله لجهلهم، والله لن يخلف ما وعد به من عذاب واقع بالكفار لابد منه، وإن يوم القيامة -وهو يوم من أيام الله- كألف سنة من سني الدنيا، وليس بعيدًا وقوعه.

﴿٤٨﴾ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾

وكم من قرية كان أهلها ظالمين لأنفسهم بالكفر أمهلهم الله مدة من الزمن فلم يعاقبهم فاغتروا، ثم أخذهم الله بعذابه بغتة في الدنيا، وعنده المعاد؛ ليجازي كل نفس بما عملت.

﴿٤٩﴾ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

قل أيها النبي: يا أيها الناس: ما أنا إلا منذر لكم أحذِّركم عذاب الله إن كفرتم، وأبلغكم رسالة الله البيان البليغ الشافي.

﴿٥٠﴾ ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

فالمؤمنون الصالحون المتبعون لرسول الله ﷺ، يغفر الله ذنوبهم، ويمحو سيئاتهم، ويرزقهم رزقًا حسنًا مباركًا في الجنة.

٥١ ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾

والذين جدّوا واجتهدوا في محاربة الله ورسله والكيد لأوليائه ومحاولة إبطال آيات الله بالمشاقة والمغالبة هؤلاء ماكثون في نار جهنم الموقدة لهم المؤصدة عليهم.

٥٢ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾

وما أرسل الله قبلك - أيها النبي - من رسول إلا إذا تلا كتاب الله شوَّش الشيطان عند قراءته بإلقاء الوساوس والشبهات؛ ليمنع وصول القرآن إلى الناس؛ خوفًا من إيمانهم وتصديقهم، ولكن الله يذهب وساوس الشيطان، ويبقي آياته المنزلة، والله يعلم ما سبق وما لحق وما ظهر وما بطن، حكيم في صنعه وشرعه وقدره وأمره.

٥٣ ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾

والله جعل هذا العمل من الشيطان امتحانًا لأهل الريبة والنفاق، ولأهل القلوب القاسية من الكفار الذين لا ينتفعون بالمواعظ، وإن هؤلاء الظالمين من المنافقين والكفار في حرب مستمرة وعداوة دائمة وخلاف شديد لله ولرسوله ﷺ.

٥٤ ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾

وليتيقن أهل العلم النافع الذين لديهم فرقان بين الهدى والضلال أن القرآن هو الحق الذي لا شك فيه، وهو وحي من الله إلى رسوله ﷺ، ولا طريق للشيطان إليهم، فيزدادوا إيمانًا بالله وخشية له، وإن الله وحده هو الذي يهدي عباده المؤمنين إلى طريق الرشد وسبيل الحق، وهو دينه الذي اختاره من بين الأديان وهو الإسلام.

٥٥ ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ ﴾

ولا يزال الكفار في شك من كتاب الله -عز وجل- إلى أن تأتيهم القيامة فجأة وهم على باطلهم، أو يأتيهم عذاب يوم شره دائم لا خير فيه لهم.

٥٦ ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

الملك والحكم يوم القيامة لله وحده، يفصل بين الأبرار والفجار، فالمؤمنون الصالحون في جنات منعمون خالدون.

٥٧ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾

والكافرون الجاحدون بواحدنية الله ورسالة الرسول ﷺ لهم عذاب يفضحهم ويخزيهم في نار جهنم.

٥٨ ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾

ومن خرج من وطنه فارًا بدينه في سبيل ربه ثم قتل مجاهدًا، أو مات مؤمنًا فسوف يثيبه الله بنعيم الجنة الذي لا يزول ولا يحول، وهو - سبحانه - خير من يرزق؛ لأن رزقه طيب كثير مبارك دائم، يعطي مع غناه عمن أعطاه.

٥٩ ﴿ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾

ليدخلن عباده المهاجرين والمجاهدين في سبيله مدخلاً يحبونه من العطاء الجزيل والثواب الجميل، والله عالم بمن يخرج لمرضاته، حليم على من عصاه، يمهله ولا يؤاخذه بما جناه.

٦٠ ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾

ذلك الذي أخبرك الله به من إكرام عباده الصالحين في جنات النعيم، ومن أصاب أذى من ظالم له فقد أذِنَ الله له أن يقتصَّ من الظالم بمثل مظلمته، فإن زاد ظلم الظالم فإن الله سوف ينصر المظلوم؛ لأنه لا يجوز أن يعتدي عليه؛

لأنه اقتص لنفسه ممن ظلمه، إن الله يعفو عن المسيء فلا يعاجله بالعقوبة، ويغفر لمن أذنب فلا يؤاخذه بالذنب.. وفي هذا بيان لفضل الله بالعفو والغفران.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ ٦١

ذلك الله الذي سن هذه الأحكام العادلة، وهو القدير على كل ما شاء، ومن قدرته أنه يدخل ما نقص من وقت الليل في النهار، ويدخل ما نقص من وقت النهار في الليل، وهو سميع لكل صوت بصير بكل فعل، فالسمع يقابل آية الليل، والبصر يقابل آية النهار.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ ٦٢

ذلك بأن الله لا إله غيره، هو المستحق للألوهية وحده، عبادته حق وعبادة ما سواه باطل، فعبادة المشركين لغيره زور وبهتان؛ لأنها لا تنفع ولا تضر، والله هو العلي على خلقه علو ذات وقدر وقهر، وهو الكبير الذي دونه كل مخلوق، فلا أكبر ولا أعظم منه جل في علاه.

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ ٦٣

ألم تر أن الله أنزل الغيث من السماء، فإذا وقع على الأرض صارت خضراء بأنواع النبات، إن الله لطيف بخلقه، حيث تكفل برزقهم، فأنزل الماء وهيأ لهم الغذاء، خبير بما ينفعهم فيسَّره لهم بأسهل الطرق.

﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ ٦٤

لله وحده كل ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وتصرفًا، كل مخلوق تحت سلطانه لا يخرج من ملكه، وهو - سبحانه - غني عما سواه، وما سواه محتاج إليه لا غِنَى له عنه، وهو المحمود في كل حال، الذي جمع صفات المحامد وتفرد بالكمال والجلال والجمال.

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۚ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ ٦٥

ألم تر أن الله ذلَّل المخلوقات من بهائم ودواب ونحوها، وخلق النبات والجماد لمصلحة الإنسان ونفعه، وذلَّل السفن على سطح البحر تسعى بما ينفع الناس من ركوب وتجارة وسفر، والله وحده يمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض فَتُهْلِك من عليها إلا بإذنه تعالى، إن الله بالناس لرؤوف يوصل بره بألطف الأسباب، ويتحبب إلى عباده بأنواع المحاب، رحيم يفيض كرمه على أوليائه فيجلب لهم النفع ويدفع عنهم الضر.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ ٦٦

والله وحده الذي أوجدكم من العدم، ثم يتوفاكم عند حلول آجالكم، ثم يبعثكم من القبور أحياءً لمحاسبتكم، إن الإنسان لجحود بآيات الله، جاحد لنعمه.

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ ٦٧

لكل أمة من الأمم السابقة جعل الله لهم شريعة يتعبدون الله بها، فلا ينازعك الكفار - أيها النبي - في دين الله الذي أنزل عليك من العقائد والعبادات والأحكام، وادع إلى وحدانية الله وطاعته وإخلاص العبادة له، إنك لعلى طريق بيّن واضح قويم لا اعوجاج فيه.

﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ٦٨

فإن خاصمك الكفار وخالفوك فيما أنزل عليك فدع جدلهم وقل: الله أعلم بتكذيبكم، وسوف يجازيكم؛ لأن المصر المعاند لا يُجادَل؛ لأنه لا نفع في مجادلته.

٦٩ ﴿ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾

الله وحده يفصل بين المسلمين والكفار يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، فيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

٧٠ ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾

ألم تعلم أن الله قد أحاط علمًا بكل ما في السموات الأرض، قد سُطِّر علمُ ذلك في اللوح المحفوظ، إن علم ذلك على الله هين سهل لا يثقله ولا يعجزه سبحانه.

٧١ ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴾

ويستمر الكفار على عبادة غير الله مع أنهم مفترون على الله بهذه العبادة، فلم يأت دليل قاطع عن طريق الوحي بصحة هذه العبادة، وليس لهم علم بهذا الافتراء، وإنما هو تقليد أعمى للآباء الجهلاء الضُّلَّال، فإذا أراد الله عذابهم فليس لهم ناصر يدفع عنهم العذاب.

٧٢ ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

وإذا قُرئ القرآن على الكفار شاهدت الكراهة والعبوس على وجوههم، يَهُمُّون بضرب من يقرأ عليهم القرآن؛ لشدة بغضهم للحق، قل لهم - أيها النبي -: ألا أخبركم بما هو أشد كراهة إليكم من سماع الحق؟ هي نار جهنم التي هيأها الله لكم في الآخرة، ولبئس المرجع والمعاد الذي تعودون إليه.

٧٣ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾

يا أيها الناس: ضرب الله مثلاً فأنصتوا لسماعه وتدبروا معناه، إن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله لو اجتمعت على خلق ذبابة مع حقارتها ما استطاعت، فكيف بما هو أعظم خلقًا من الذبابة؟! وهي لا تستطيع أن تعيد شيئًا أخذه الذباب، وهذا غاية العجز، فالأصنام والذباب ضعيفان، ضعف الطالب الذي هو المعبود من دون الله أن يسترد ما أخذه الذباب، وضعف المطلوب الذي هو الذباب، فكيف تعبدون هذه الأصنام وهي بهذا الضعف والهوان؟!

٧٤ ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾

هؤلاء الكفار لم يَقْدُروا الله حق تقديره من المحبة له والخوف منه والذل له، بل أشركوا معه غيره، وهو القوي الذي لا يغالب، قهر غيره بجبروته، العزيز الذي تفرَّد بالعظمة وتوحَّد بالكبرياء والمجد.

٧٥ ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾

والله يختار من ملائكته رسلاً إلى أنبيائه ويختار من عباده رسلاً إلى خلقه، وهو سميع بكل قول، بصير بكل فعل، فلهذا أحسن اختياره واصطفاءه لرسله.

٧٦ ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾

يعلم - سبحانه - ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل خلقهم، ويعلم ما خلفهم بعد فنائهم، وإليه منتهى كل أمر ومرجع كل مخلوق ومعاد كل شيء.

٧٧ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

أيها المؤمنون: بالله وبرسوله، اركعوا واسجدوا لله في صلاتكم، وأخلصوا له العبادة وحده، ولا تشركوا به شيئًا، وقدموا العمل النافع لأنفسكم، وهو كل نفع يرضاه الله؛ لتنالوا سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

﴿٧٨﴾ ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾

وجاهدوا أعداء الله بكل أنواع الجهاد كجهاد النفس والمال واللسان والقلم، قاصدين وجهه وحده؛ لأنه الذي اختاركم لشرف حمل الرسالة، ويسَّر لكم شريعته، حيث جعلها سمحةً ليس فيها ضيق ولا مشقة ولا عنت في عقائدها وأحكامها وأخلاقها، بل سهلة ميسَّرة وهي ملة إبراهيم ﷺ، وقد سبق أن سماكم الله المسلمين في الكتب المتقدمة وفي القرآن، وقد شرَّفكم بهذه المنزلة ليكون الرسول ﷺ شاهدًا عليكم بأنه بلَّغ الرسالة إليكم، وتكونوا أنتم شهداء على جميع الأمم أن رسلهم قد بلّغوهم رسالة الله، فقدروا هذه النعمة حق قدرها، واشكروا الله عليها وقوموا بالدين الخالص خير قيام من إقامة الصلاة على الوجه الذي يحبه الله خير قيام، وإخراج الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم مع التوكل على الله والاعتصام به والاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، فهو نعم المولى لمن تولاه، ينصره ويجيره ويستره، وهو الناصر لأوليائه، يدلهم على الهدى ويجنبهم الردى، ويدفع عنهم الأذى.

مكية

سورة المؤمنون

ترتيبها ٢٣ | آياتها ١١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

قد فاز من آمن بالله وبرسوله ﷺ وعمل بما شرعه الله واجتنب ما نهى عنه.

﴿٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾

وهم يؤدون الصلاة كما شُرعت على أكمل وجه، تخشع قلوبهم في الصلاة، وتسكن جوارحهم من حلاوة المناجاة.

﴿٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

وهم يتركون كل ما لا نفع فيه في الدنيا والآخرة من الأقوال والأفعال.

﴿٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾

والذين يؤدون زكاة أموالهم فيطهرون أنفسهم وأخلاقهم بدفعها لمستحقيها.

﴿٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾

والذين يحفظون فروجهم مما حرَّمه الله من الفواحش والمنكرات.

﴿٦﴾ ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

إلا على نسائهم وإمائهم فلا إثم عليهم ولا حرج من الاستمتاع بهن؛ لأنهن حلال لهم.

﴿٧﴾ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾

فمن أراد الاستمتاع بغير زوجته أو جاريته فهو من المتعدين لحدود الله، المتُعَرِّضين لغضب الله.

٨ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾

والذين يؤدون الأمانات ويوفون بالعهود والعقود فلا يخونون ولا يغدرون.

٩ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

والذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه كما شُرعت في هيئاتها وأوقاتها ولا يضيعونها.

١٠ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾

هؤلاء يسكنون جنات النعيم خالدين فيها أبدًا.

١١ ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

سكناهم أعلى درجات الجنة وأرفع منازلها وأوسطها في نعيم لا يزول ولا يحول.

١٢ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾

ولقد خلق الله آدم وصوَّره من طين أخذه من تراب الأرض.

١٣ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾

ثم جعل الله ذريته متناسلين من مني الرجل والمرأة، فتوالدوا وتكاثروا.

١٤ ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾

ثم خلق الله النطفة علقة وهو الدم الأحمر، ثم جعل من العلقة بعد أربعين يومًا مضغةً، وهي قطعة لحم على قدر اللقمة الصغيرة، ثم جعل - سبحانه - المضغة عظامًا، ثم كسا العظام لحمًا، ثم جعله الله خلقًا آخر حيث نفخ فيه الروح؛ فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

١٥ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾

ثم إنكم - أيها الناس - بعد بقائكم في حياتكم الدنيا وانتهاء الآجال ميتون لا محالة.

١٦ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾

ثم إنكم بعد موتكم وبقائكم في قبوركم تُبعثون للحساب في عرصات القيامة.

١٧ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾

ولقد خلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وما غفل عن الخليقة، بل أحصاهم واطَّلع على أعمالهم لا تخفى منهم عليه خافية.

١٨ ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾

وأنزل الله من السماء بقدر حاجة الخليقة ماءً مباركًا، وجعل لهم مستقرًا في الآبار والعيون، وهو - سبحانه - قادرٌ على أن يذهب بهذا الماء، بأن يجعله غائرًا في الأرض أو ملحًا أُجاجًا أو ينتهي من أماكنه.

١٩ ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

فخلق الله بالماء حدائق النخيل وبساتين الأعناب، فيها فواكه بأصناف كثيرة وأشكال عديدة وأنواع مختلفة تأكلون منها.

٢٠ ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾

وخلق الله شجرة الزيتون وأنبتها حول جبل طور سيناء، يؤخذ منها الزيت فيؤتدم به ويدهن منه.

٢١ ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

وإن لكم - أيها العباد - في خلق الإبل والبقر والغنم لعبرة تعتبرون بها، وتتفكرون فيما يسقيكم الله مما في بطونها من اللبن، ولكم منافع كثيرة منها: الصوف والجلود والوبر والركوب وحمل الأثقال، وأكل لحمها.

﴿٢٢﴾ ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

وتركبون وتحملون أمتعتكم على الإبل والسفن في البر والبحر.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

ولقد أرسل الله نوحًا إلى قومه بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به وحذّرهم من عذاب الله وأنذرهم بطشه.

﴿٢٤﴾ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾

فكذب نوحًا ساداتُ قومه وقالوا للعامة: إن نوحًا إنسان مخلوق مثلكم ليس له فضل عليكم، وإنما هو يريد أن يتميز بهذه الدعوة؛ ليكون شريفًا فيكم، ولو أراد الله أن يبعث إليكم رسولاً لجعله من الملائكة، لقد أتى نوح بشيء غريب جديد ما سمعنا بمثله فيمن سبق من الأمم الماضية.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾

ونوح ليس إلا رجلاً أصابه مس من الجن، فانتظروا حتى يفيق من جنونه فيترك دعوته أو يلقى منيته فترتاحوا منه.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾

ودعا نوح ربَّه أن ينصره على قومه؛ لأنهم أنكروا رسالته وكذبوا دعوته وأيس من استجابتهم.

﴿٢٧﴾ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾

فأوحى الله إلى نوح أن يصنع سفينة عظيمة بأمره - سبحانه - ومعونته وحفظه، فإذا حلَّ العذاب بأمته وفار الماء من تنور النار فاحمل في السفينة من كل جنس من الأحياء ذكرًا وأنثى؛ ليبقى أصل النسل، واحمل فيها كذلك المؤمنين من أهلك، أما الكفرة الفجرة فلا تشفع فيهم، فإن الله مهلكهم بالغرق، وقد حق عليهم العذاب.

﴿٢٨﴾ ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

فإذا ارتفعت على السفينة أنت ومن آمن معك ونجوتم من الغرق فقل: الحمد لله الذي نجانا من القوم الكافرين من أذاهم ومما أصابهم.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾

وقل: يا ربِّ سهّل لي نزولاً مباركًا آمنًا وأنت خير المنزلين؛ لأن الله يختار لعباده أحسن المنازل، وإذا قالها العبد عند نزوله مكانًا فحسنٌ.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾

إن في نصرة الله لأوليائه وإهلاك أعدائه براهين ظاهرة على صدق دعوة الرسل وقدرة الله -سبحانه - والله يمتحن العباد بإرسال الرسل، فمن آمن أثابه، ومن كفر عاقبه.

﴿٣١﴾ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

ثم أنشأ الله من بعد هلاك قوم نوح قومًا آخرين، وهم قوم عاد.

﴿٣٢﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

فأرسل الله هودًا ﷺ إلى قومه عاد، فقال لهم: اعبدوا الله وحده وأخلصوا له الطاعة، ولا تشركوا به شيئًا، ألا تحذرون عذابه وتخافون عقابه؟

﴿٣٣﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾

وقال السادة من قوم هود الذين كفروا بالله وأنكروا البعث بعد الموت وأعطاهم المال والجاه: إن هذا الذي يدعوكم إلى التوحيد ما هو إلا إنسان مثلكم يأكل الطعام ويشرب الماء فأيّ ميزة له؟

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾

وإذا صدقتم إنسانًا مثلكم إنكم لفي ضلال وجهل بتوحيدكم الله وترك آلهتكم.

﴿٣٥﴾ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾

كيف يكون صحيحًا ما يقوله هود من أنكم بعد الفناء وتحول أجسامكم في القبور ترابًا وعظامًا بالية تعودون أحياء من جديد، هذا أمر بعيد.

﴿٣٦﴾ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾

ما أبعد إعادتكم إلى الحياة بعد الموت كما وعدكم هود، وهذا من المستحيل.

﴿٣٧﴾ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

ليس الأمر إلا حياة واحدة، يموت آباؤنا ويحيا أبناؤنا ولن نبعث من جديد.

﴿٣٨﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾

ما هو إلا إنسان اختلق كذبًا على الله، ولن نصدق ما قاله أبدًا، صان الله هودًا ﷺ عن قولهم.

﴿٣٩﴾ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾

فدعا هود على عاد قائلاً: ربِّ انصرني عليهم بإهلاكهم ونجّني ومن معي، فقد كذبوا رسولك وكفروا بك.

﴿٤٠﴾ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾

فأجاب الله هودًا بأن عليه أن يصبر قليلاً من الزمن فسينزل العذاب بقومه ويندمون على كفرهم.

﴿٤١﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

وبعد قليل جاءتهم صيحة العذاب الشديدة، فأبادهم الله ودمَّرهم جميعًا وأصبحوا كمخلفات السيل التي تظهر على سطح الماء، فهلاكًا وسحقًا لهؤلاء المكذبين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله.

﴿٤٢﴾ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾

ثم خلق الله بعد قوم هود أقوامًا آخرين، كقوم لوط وشعيب وأيوب ويونس عليهم السلام.

﴿٤٣﴾ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾

لا يتقدم قوم من هؤلاء الأقوام المكذبين الأجل المسمى الذي وقَّته الله لهلاكهم ولا يتأخرون عن هذا الأجل.

﴿٤٤﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾

ثم أرسل الله الرسل يتلو بعضهم بعضًا كلما دعا رسول قومه إلى التوحيد كذبوه؛ فأتبع الله بعضهم بعضًا بالهلاك والعذاب، ولم يبق إلا أخبارهم وتاريخهم، وصاروا أحاديث سَمَرٍ في المجالس لمن بعدهم، فهلاكًا وسحقًا لمن كفر بالله وكذَّب رسله.

﴿٤٥﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

ثم أرسل الله موسى وأخاه هارون بآياته التسع، وهي: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطوفان، والسنون، ونقص الثمرات، برهانًا واضحًا يقهر النفوس فتنقاد له قلوب المؤمنين ويقمع الله به المكذبين.

﴿٤٦﴾ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾

أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وقومه في مصر، فاستكبروا عن الحق وكذبوا بالصدق وظلموا العباد وأفسدوا في البلاد.

﴿٤٧﴾ ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾

فقال فرعون وقومه: كيف نصدق رجلين مثلنا في البشرية مع العلم أن قوم موسى وهارون وهم بنو إسرائيل عبيد عندنا وخدم لنا.

﴿٤٨﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾

فكذب فرعون وقومه موسى وهارون فدمَّرهم الله بالغرق في البحر.

﴿٤٩﴾ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾

ولقد أكرم الله موسى بكتاب التوراة فيه هداية وبيان لمن اهتدى به.

﴿٥٠﴾ ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ﴾

وجعل الله عيسى ابن مريم وأمه دليلاً واضحًا وبرهانًا ساطعًا على قدرة الله؛ لأنه خلقه من غير أب، وجعل له ولأمه منزلاً عاليًا من الأرض سهلاً للاستقرار والسكنى في تربة طيبة وماء عذب جارٍ.

﴿٥١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾

يا أيها الرسل: كلوا من رزق الله الطيب الحلال، واجتنبوا الخبيث الحرام، واعملوا الأعمال الصالحة المشروعة، واتركوا البدع والمعاصي، إن الله يعلم عمل كل عامل لا يخفى عليه شيء، وهذا الأمر للرسل - عليهم السلام - ولأتباعهم إلى يوم القيامة.

﴿٥٢﴾ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾

وإن ملتكم - أيها الأنبياء - هي ملة الإسلام التي شرعها ورضيها، وربكم واحد تقدست أسماؤه، فاتقوه بعمل طاعته وترك معصيته.

﴿٥٣﴾ ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾

فاختلفت الطوائف في الدين، وتوزعت إلى جماعات وأحزاب، واخترعوا أديانًا غير ما شرعه الله، كل جماعة معجبة بمذهبها ترى أنه الحق وما سواه الباطل، وتعادي وتوالي عليه وتتعصب له، وفي هذا تحذير من الاختلاف في الدين والافتراق في الملة.

﴿٥٤﴾ ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ﴾

فدعهم - أيها النبي - في غوايتهم وبعدهم عن الهدى حتى ينزل الله عليهم العذاب.

﴿٥٥﴾ ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ﴾

أيحسب الكفار أنما أعطاهم الواحد القهار من المال والأبناء لمنزلتهم عند الله وحبه لهم.

﴿٥٦﴾ ﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾

إنما قد عجل الله لهم هذا المتاع امتحانًا لهم واستدراجًا، ولكنهم لا يعلمون هذا المكر الخفي.

﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾

إن المؤمنين الذين يخافون الله ويراقبونه ويحذرون غضبه ويخشون عذابه.

﴿٥٨﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾

والذين يوقنون بآيات الله المنزلة في كتابه والمعروضة في الكون.

﴿٥٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾

والذين أخلصوا الطاعة لله ولم يشركوا في العبادة معه أحدًا واجتنبوا الرياء والسمعة.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ ٦٠

والذين يعملون الصالحات ويسارعون في الخيرات وهم مع ذلك خائفون ألا تُقبَلَ منهم أو أن تُرد عليهم فهم معتمدون على رحمة الله لا على أعمالهم، ويحذرون ألا تنجيهم أعمالهم يوم لقاء الله تعالى.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ ٦١

هؤلاء الأبرار العاملون للصالحات عادتهم المبادرة إلى كل خير، والمسارعة إلى كل بر.

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ٦٢

والله لا يكلِّف إنسانًا فوق طاقته، بل يوجب عليه من العمل ما يستطيع القيام به، وأعمال العباد كلها مسجلة عند الله في كتاب ينطق بالحق عليهم ولا يظلمهم شيئًا.

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ ٦٣

لكن قلوب الفجار في غشاوة وعمى عن هذا القرآن العظيم، ولهم مع شركهم أفعال قبيحة، يمد الله لهم في الأعمار ليتكثَّروا من الأوزار؛ لينالوا غضب الواحد القهار.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ ٦٤

حتى إذا أهلك الله أهل النعيم والبذخ بذنوبهم إذا هم يصيحون من شدة العذاب، مستغيثين متضرعين.

﴿ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ ٦٥

فيقال لهؤلاء الأشرار: لا تصرخوا من غضب الملك الجبار، فلن تدفعوا عن أنفسكم العذاب، ولن يدفعه عنكم غيركم، فلا قوة من أنفسكم ولا ناصر لكم من سواكم.

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ ٦٦

قد كانت آيات القرآن تقرأ عليكم في الدنيا لتصدقوا بها وتهتدوا بهداها، فكنتم تعرضون عن سماعها وتأبون العمل بها وتصدون غيركم عن سماعها.

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ ٦٧

تتكبرون على العباد وتكفرون بيوم المعاد، وتفتخرون بالمسجد الحرام على بقية العرب، وأنكم أفضل الناس بسببه، مع العلم أنكم تتسامرون حول البيت بالفاحش من الكلام.

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ٦٨

لماذا لم يتدبروا آيات القرآن ليعلموا أنها من عند الله، أم أن الذي صدهم عن الإيمان بالله أنه جاءتهم رسالة من عند الله لم يسبق لآبائهم الأولين أن أتاهم مثلها فأنكروها.

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ ٦٩

أم أن الذي حملهم على تكذيب الرسول ﷺ أنه غير معروف عندهم، فهم ينكرون اسمه ونسبه وصدقه وأمانته، وهذا غير صحيح.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ ٧٠

أم حملهم على الكفر زعمهم أن الرسول ﷺ مجنون؟ - صانه الله عن ذلك - بل كذبوا والله، إنما جاءهم بالهداية والحكمة والرشد والفلاح، ولكن أكثرهم يكرهون الحق حسدًا وعنادًا.

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ ٧١

ولو أنزل الله الوحي وَفْقَ أهواء الكفار لفسدت السموات والأرض ومن فيهن؛ لأنهم أهل باطل وزور، بل إن الله أنزل القرآن شرفًا وعزًا لهذه الأمة، ولكن الكفار عن هذا الشرف معرضون.

﴿٧٢﴾ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

هل ردَّ الكفار عن الإيمان أنك - أيها الرسول - تسألهم أجرةً من أموالهم على رسالتك فبخلوا بهذه الأجرة؟ وأنت لم تفعل ذلك، فخزائن العطاء والأرزاق والثواب عند الله وحده، وهو خير الرازقين، يرزق من سأل ومن لم يسأل، ويعطي بلا مقابل ولا ينتهي عطاؤه.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

وإنك - أيها النبي - لتدل الأمة على دين قويم وهدى مستقيم، هو دين الإسلام العظيم.

﴿٧٤﴾ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾

وإن المكذبين بيوم الدين ولا يعملون له لمائلون عن الهدى، منحرفون عن الرشاد.

﴿٧٥﴾ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

ولو رحم الله الكفار وأبدلهم بعد القحط والجدب الخير والأمطار؛ لاستمروا في العناد والفساد، وهم يتخبطون في الضلالة ويتحيرون من الجهالة.

﴿٧٦﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾

ولقد نوَّع الله عليهم أصناف العقوبات وأشكال النكبات، فما خضعوا للرب وما تابوا من الذنب.

﴿٧٧﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾

حتى إذا فتح الله على أعدائه في الآخرة باب العذاب الأليم والعقاب المقيم أيسوا من رحمة الله، وأصبحوا في حيرة لا يدرون ما المخرج منها، فاختلط عليهم أمرهم.

﴿٧٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

والله وحده الذي خلق لكم السمع لتسمعوا به الأصوات، وخلق الأبصار لتشاهدوا بها المرئيات، وخلق الأفئدة لتفهموا بها المعلومات، ومع هذه النعم المتواليات والأيادي المترادفات فشكركم قليل وعبادتكم قليلة!!

﴿٧٩﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

والله وحده خالق البشر على وجه الأرض، وإليه يعود الجميع للحساب.

﴿٨٠﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

وهو - سبحانه - الذي أوجد من العدم، ويميت بعد الحياة، ويبعث بعد الموت، وله تعاقب الليل بظلامه والنهار بضيائه مع اختلاف الأوقات، أفلا تعقلون عظمة الله وقدرته؟!

﴿٨١﴾ ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾

لكن أعداء الله كَذَّبوا رسول الله وأنكروا كتاب الله، وأجابوا بجواب الكفار نفسه من قبلهم.

﴿٨٢﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾

وقال الكفار منكرين: هل يُعقل أنا إذا متنا ودُفِنا وتفتت أجسامنا في الأرض، وأصبحت عظامنا بالية أن نعود أحياءً بعد الوفاة؟! هذا لا يُعقل أبدًا.

﴿٨٣﴾ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

لقد كُرر هذا الحديث على آبائنا من قبل مثلما تقوله لنا يا محمد، فلم يظهر لنا صدقه، ما هذا الكلام إلا خرافات الأمم السابقة.

٨٤ ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾

قل لهم - أيها النبي -: من الذي خلق الأرض وله ملكها وملك من فيها، وهو رازق الجميع ومدبر الكل إن كان عندكم علم؟

٨٥ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

سوف يشهدون حقًا أن خالقها ومالكها هو الله وحده، فقل لهم - أيها النبي -: أفليس في هذا عِبْرة ودليل على أن الله قادر على الإحياء بعد الإماتة؟

٨٦ ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾

قل - أيها النبي للكفار -: من هو الخالق والمالك والمدبر والمتصرف في السموات السبع والعرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات وأعلاها؟

٨٧ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

سوف يشهدون أنه الله وحده، فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟ فمع كثرة نعمه لا ترجونه، ومع قوة بأسه لا تخافونه.

٨٨ ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾

قل - أيها النبي لهم -: مَنِ المالك والمدبر والمصرف لكل شيء؟ ومَنْ بيده الخزائن ومقاليد الأمور؟ ومَنِ الذي يجير من استجار به، ولا يستطيع أحد أن يجير أحدًا أراده الله بسوء إن كان عندكم علم به؟ لكنكم جهلتم قدره فعصيتم أمره وتركتم شكره.

٨٩ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾

فسوف يشهد الكفار بأن هذا الملك لله وحده، فاسألهم: كيف سُلبت عقولكم وذهب تفكيركم وصُرفتم عن توحيد الله وعن الإيمان برسوله وبكتابه وباليوم الآخر، كأنه أصابكم سحر.

٩٠ ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾

بل أتى الله الكفار بالحق المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ، وهم كاذبون في شركهم بالله وإنكارهم يوم الدين.

٩١ ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

الله وحده ليس له ولد، فلم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وليس معه إله غيره لا شريك له، ولا رب سواه، فلو كان هناك أكثر من إله لانفرد كل إله بمخلوقاته، ولحصل بينهم صراع وتضاد كما يحصل بين سلاطين الأرض، حينها يختل نظام الكون، وتضطرب أحوال المعمورة، فتقدَّس الله وتنزَّه وتعالى عما نسبه إليه أعداؤه من الولد والشريك.

٩٢ ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

والله يعلم ما غاب عن العيون وما تشاهده، لا تخفى عليه خافية فتنزَّه عن أن يكون له شريك، لا إله إلا هو.

٩٣ ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾

قل - أيها الرسول -: ربِّ إما تريني في الكفار ما وعدتهم به من العذاب وما أنذرتهم من عقاب.

٩٤ ﴿ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

ربِّ فلا تهلكني إذا أهلكت الكفار، وسلِّمني من عذابك وغضبك، فلا تجمعني في العقوبة مع الأشرار، لكن اجعلني ممن رضيت عنهم مع الأبرار.

﴿٩٥﴾ ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴾

وإن الله قادر على أن يريك - أيها النبي - ما وعد الكفار به من العذاب في الدنيا.

﴿٩٦﴾ ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾

لا تقابل - أيها النبي - السيئة من الناس بسيئة من عندك، لكن اصبر واحلم واصفح وقابل الإساءة بالإحسان؛ لتنال رحمة علام الغيوب، مع تكفير الذنوب وإقبال القلوب، فالله أعلم وحده بما يصفه الكفار من الفساد والعناد وسيعاقبهم عليه.

﴿٩٧﴾ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾

وقل - أيها النبي -: أحتمي بك يا رب من وساوس الشياطين وإغوائها، ودعاويها المغرية إلى الذنب والفاحشة والمنكر.

﴿٩٨﴾ ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

وأحتمي بك يا ربِّ أن يحضر الشياطين شيئًا من أموري فيفسدوها عليّ.

﴿٩٩﴾ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾

إن الكافر إذا أشرف على الموت وأبصر ما أمامه من الأهوال قال يا ربِّ: أعدني إلى الدنيا.

﴿١٠٠﴾ ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

عسى أن أتوب وأستدرك ما فات مني من إيمان وصلاح، فيُقال له: ليس ذلك لك قد فات الأوان، إنما هذه الأمنية الباطلة مجرد كلمة يقولها لا نفع فيها له، وبينه وبين الرجوع إلى الدنيا حاجز من الزمن يعذب فيه وهو عذاب القبر، ولن يعود إلى الدنيا أبدًا إلى يوم الحساب.

﴿١٠١﴾ ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾

فإذا قامت القيامة ونفخ الملك في القرن وخرج الناس من قبورهم فلا تنفع الأحساب ولا تفيد الأنساب والتفاخر بها، فهذا موقف حسنات وسيئات لا دعاوى باطلات، وفي الموقف لا يسأل أحدٌ أحدًا؛ لأن كلاً منهم له شأن يغنيه.

﴿١٠٢﴾ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

فمن كثرت حسناته من الأعمال الصالحة ووضعت في كفة الميزان يوم الحساب ورجحت بالسيئات، فقد فاز بالنعيم الأبدي والخلود السرمدي.

﴿١٠٣﴾ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾

ومن قلَّت حسناته في الميزان؛ لكثرة العصيان واستوجب غضب الديان فقد باء بالخسران والخلود في النيران.

﴿١٠٤﴾ ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾

تحرق النار وجوه الكفار من شدة الحريق والاستعار، وقد عبست وجوههم وأظلمت طلعاتهم، واسود محياهم، وقلصت شفاههم، وبرزت أسنانهم.

﴿١٠٥﴾ ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾

يقال للكفار يوم القيامة: ألم تكن آيات الله في كتابه تُقرأ عليكم في الحياة الدنيا فكذبتم بها؟

﴿١٠٦﴾ ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾

ولما قامت عليهم الحجة وتيقنوا أنهم هلكوا قالوا: ربنا غلبت علينا معاصينا وذنوبنا المقدرة علينا منك، وكنا في انحراف عن الهدى والرشاد.

﴿١٠٧﴾ ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾

ربنا أنقذنا من النار لنعود إلى الدنيا ونهتدي، فإن رجعنا إلى الغواية فقد ظلمنا ووجب علينا العذاب.

﴿١٠٨﴾ ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾

فقال الله لهم مبكتًا: ابقوا في النار أذلاء حقارًا ولا تخاطبوني، فأيسوا عندها من رحمة أرحم الراحمين.

﴿١٠٩﴾ ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

إنه كانت جماعة من عباد الله المؤمنين يدعون ربهم أن يستر خطاياهم، وأن يغفر ذنوبهم، وأن يرحمهم برحمته وهو خير من رحم.

﴿١١٠﴾ ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴾

فجعلتم الاستهزاء بالمؤمنين شغلكم الشاغل حتى نسيتم ذكر الله وعبادته، وبقيتم على الكفر، وكنتم تضحكون منهم ساخرين مستهزئين.

﴿١١١﴾ ﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾

إن الله أثاب هذه الطائفة من عباده المؤمنين بجنات النعيم؛ لأنهم صبروا على أداء الطاعة واجتناب المعصية.

﴿١١٢﴾ ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾

ويُسأل الفجار في النار: كم عشتم في الحياة الدنيا من الأعوام؟ ومع ذلك أسرفتم في الآثام.

﴿١١٣﴾ ﴿ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾

فأجابوا وهم ذاهلون في دهشة من شدة الهول: عشنا في الدنيا يومًا واحدًا أو بعض يوم؛ فاسأل الحُسَّاب الذين يعدون الشهور والأيام فهم أعلم منا.

﴿١١٤﴾ ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾

قال لهم: ما بقيتم في الدنيا إلا زمنًا يسيرًا، فلو صبرتم على أداء الطاعة وترك المعصية لفزتم بالرضوان والجنان، لو كان عندكم علم نافع يدلكم على الصواب؛ لأن عمر الدنيا قصير بالنسبة إلى الآخرة.

﴿١١٥﴾ ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾

أظننتم - أيها العباد - أن الله خلقكم مهملين لا أمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، وأنكم لا تعودون إلى الله ليجازي كل عامل بما عمل.

﴿١١٦﴾ ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾

فتنزَّه الله وتقدَّس أن يخلق خلقًا للهو والعبث، فما خلق الخلق إلا بالحق؛ لحكمة عظيمة هي عبادته - تعالى - لا إله غيره ولا ربَّ سواه، رب العرش الكريم.

﴿١١٧﴾ ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾

ومن يعبد مع الله إلهًا غيره لا دليل له على استحقاق هذا الإله للعبادة مع الله، فجزاؤه على فعله القبيح العذاب الشديد من ربِّه، إن الكافر لا ينجو ولا يفلح يوم القيامة.

﴿١١٨﴾ ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

وادعُ ربَّك وقل: رب اغفر الذنب وتجاوز عن الخطيئة، وارحم الحال يا ذا الجلال؛ لأنك خير الراحمين، تقبل التوبة وتعفو عن المذنب.

مدنية

سورة النور

ترتيبها ٢٤ | آياتها ٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

هذه سورة عظيمة كريمة أنزلها الله بالحق، وأوجب العمل بأحكامها وأنزل فيها دلالات واضحات؛ لعلكم - أيها المؤمنون - تتفكرون في معانيها فتعملوا بأحكامها.

﴿٢﴾ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

حكم الزانية والزاني اللذين لم يسبق لهما زواج صحيح هو عقوبة كل منهما مئة جلدة بالسوط، وجاء في الحديث الصحيح: التغريب مدة عام مع الجلد، ولا تحملكم - أيها المؤمنون - الرحمة بالزانيين على ترك إقامة الحد إن كنتم مصدقين بآيات الله تنفذون أحكام الله، وليحضر إقامة الحد جماعة من المؤمنين للتشنيع والزجر والتعزير.

﴿٣﴾ ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

الزاني لا يتزوج إلا بزانية أو مشركة لا تعترف بحرمة الزنا، والزانية لا تتزوج إلا بزانٍ أو مشرك لا يعترف بحرمة الزنا، وحرَّم الله هذا النوع من الزواج على المؤمنين، فيحرمُ الزواج من الزانية أو تزويج الزاني حتى يتوبا.

﴿٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

والذين يتهمون العفيفات وليس معهم شهود عدول أربعة على صدق ما قالوا فاجلدوا كل واحد حدَّ القذف ثمانين جلدة، ولا تقبلوا شهادتهم بعدها أبدًا؛ لأنهم قد عُرف عنهم الكذب، وهم خارجون عن طاعة الله.

﴿٥﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

غير أن من تاب إلى الله من قذف المحصنات وندم على ما فعل وعاد عن اتهامه وأصلح ما أفسد، فإن الله يغفر ذنبه ويستر عيبه؛ لأن الله يستر الخطيئة ويتجاوز عن السيئة.

﴿٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾

والرجال الذين يتهمون زوجاتهم بالزنا وليس معهم شهداء عدول على اتهامهم لزوجاتهم بالزنا، فعلى الزوج منهم أن يشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: «أشهد أني صادق فيما رميتها به من الزنا».

﴿٧﴾ ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

ويزيد في الشهادة الخامسة ويدعو على نفسه أن لعنة الله عليه إن كان كاذبًا.

﴿٨﴾ ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

وبشهادة الزوج على زوجته بالزنا تستوجب الحد وهو: الرجم حتى الموت، ولا يدفع عنها هذا الحد إلا أن تشهد أربع شهادات بالله إن زوجي كاذب في اتهامه لي بالزنا.

﴿٩﴾ ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

وتزيد في الشهادة الخامسة بأن تقول: «أن غَضَبَ الله عليّ إن كان صادقًا في اتهامه لي بالزنا»، وعندها يُفرق بين الزوج والزوجة وجوبًا.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾

ولولا أن الله تفضل عليكم - أيها المؤمنون - بهذه الشريعة وهذه الأحكام للأزواج والزوجات لأوقع الله بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه، والله يتوب على من تاب من عباده مهما أذنب، وهو - سبحانه - حكيم في شرعه وصنعه وتدبيره وتقديره.

﴿١١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

إن الذين جاؤوا بالفرية الشنعاء وهو اتهام أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات (عائشة) زوجة الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة - رضي الله عنها وعن أبيها - اتهموها بالفاحشة وهم طائفة من المنافقين ومرضى القلوب، فلا تظنوا - أيها المؤمنون - أن قولهم شرٌ لكم، بل هو خير لكم من تبرئة أم المؤمنين وطهارتها والثناء عليها ومعرفة العدو من الصديق، وظهور المنافقين ومرضى القلوب وغير ذلك من الحِكَم العظيمة، فلكل إنسان تحدَّث بهذه التهمة نصيب من الإثم، والذي تحمَّل أكثر الذنب والجرم هو رأس المنافقين عدو الله عبدالله بن أبي بن سلول عليه لعنة الله، له عذاب شديد في نار جهنم، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار.

﴿١٢﴾ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾

لماذا لا يظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيرًا عند سماع هذه التهمة الشنيعة والفرية القبيحة، وهو أن الأصل في المؤمن والمؤمنة السلامة والبراءة من ذلك، والواجب أنهم قالوا: هذا كذب ظاهر وافتراء واضح على أمِّنا عائشة رضي الله عنها.

﴿١٣﴾ ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

لماذا لم يأت هؤلاء القاذفون الآثمون بأربعة شهداء عدول؟ ما دام أنهم لم يأتوا بالشهود، فهم كذبة فجرة عند الله.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

ولولا أن الله تفضل عليكم بمغفرته ورحمته وستره فلم يعجِّل لكم العذاب بل تاب على من تاب؛ لنزل بكم عذابه الشديد بسبب خوضكم وتحدثكم في هذا الإفك المبين.

﴿١٥﴾ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

حين تتلقفون الكذب بألسنتكم وتقولونه بأفواهكم وهو قول باطل ولا علم لكم به ولا دليل عليه، وقد حُرِّم عليكم التحدث بالباطل والقول بلا علم، وتظنون أن هذا العمل شيء سهل يسير ولكنه عند الله عظيم كبير، وفي هذا تحريم إشاعة الزور والتكلم بالتهمة.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾

لماذا لم تقولوا عند سماع هذا الزور والبهتان: لا يجوز لنا التحدث بهذا الكذب وهذه التهمة في حق زوجة نبينا ﷺ وأم المؤمنين - رضي الله عنها - فهو إثم عظيم وجُرم كبير؟

﴿١٧﴾ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

يحذِّركم الله وينهاكم أن يقع منكم مثل هذا العمل من الاتهام الكاذب والزور المبين إن كنتم مؤمنين بالله حقًا.

﴿١٨﴾ ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

والله يبين لكم آياته التي فيها صلاحكم واستقامة حالكم وفلاحكم في الدنيا والآخرة، والله عليم بأعمالكم وأقوالكم، حكيم فيما شرع وصنع ودبَّر وقدَّر.

١٩ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

إن الذين يحبون انتشار الفاحشة بين المسلمين لهم في الدنيا عقوبة إقامة حد القذف عليهم وغيرها من مصائب الدنيا، ولهم عند الله في الآخرة عذاب النار إن لم يتوبوا، والله يعلم كذبهم وأنتم لا تعلمون ذلك، ومطلع على ما أسرُّوا وأخفوا وأنتم لا تدرون به.

٢٠ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

ولولا أن الله تفضَّل على مَنْ وقع منه حديث في مسألة الإفك فرحم ولطف - سبحانه - لعاجله بالعقوبة الشديدة، ولكنه - سبحانه - أمهل وشرع الحد على القاذف وقَبِلَ توبة من تاب.

٢١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تقتدوا بالشيطان وتسلكوا سبيله، ومن يسلك سبيل الشيطان فإن من عادته أنه يأمر بقبيح الأفعال ومنكرات الأعمال، ولولا أن الله تفضَّل عليكم وأحسن بكم ورحمكم ما طهَّر منكم أحدًا أبدًا من دنس الذنب ورجس الخطيئة، ولكن الله بفضله يطهِّر من أراد من عباده، وهو سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، سمع الأصوات وعلم النيات.

٢٢ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

ولا يُقْسِم أهل الإحسان في الدِّين والسعة في الدنيا على حرمان القرابة والمحتاجين والمهاجرين، وليغفروا زلاَّتهم ولا يؤاخذوهم بعقوبة، ألا تريدون أن يتجاوز الله عنكم؟ فتجاوزوا عنهم، والله غفور لزلات العباد رحيم بهم، يقبل توبة من عاد، وفيه الحلم على من أساء، والغفران لمن أخطأ.

٢٣ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

إن الذين يقذفون بالزنا العفيفات البريئات المؤمنات الغافلات اللاتي لم يجر ذكر الفاحشة في قلوبهن، هؤلاء طردهم الله من رحمته، وأوجب لهم العذاب الشديد في نار جهنم، فمن اتهم أو سبَّ إحدى زوجاته ﷺ فقد كفر.

٢٤ ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

يوم القيامة تشهد عليهم ألسنتهم بما قالت من البهتان، وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما فعلت من العصيان.

٢٥ ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾

يوم القيامة يوفيهم الله جزاءهم تامًا غير منقوص على ما عملوا عدلاً منه - سبحانه - ويعلمون يوم الحشر أن الله وحده الحق المبين في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، فلا يظلم ولا يهضم.

٢٦ ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأعمال له ما يوافقه من الخبيث من كل هذه الأصناف، وكل طيب من الرجال والنساء، والأقوال والأعمال له ما يوافقه من الطيب من كل هذه الأصناف، والطيبون والطيبات مبرؤون مما يرميهم به الخبيثون والخبيثات من السوء والفاحشة ومنزَّهون عنها، لهم عند الله مغفرة تمحو الخطايا، ورزق كريم في جوار ربٍّ رحيم في جنة النعيم.

﴿٢٧﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾

أيها المؤمنون: إذا أردتم دخول بيوت غيركم فاستأذنوا قبل الدخول وسلموا على أهل البيوت بمثل ما جاء في السنة من قول: «السلام عليكم أأدخل؟»؛ لأن الاستئذان خير لكم وأبعد عن التَّعرُّض للريبة وأطهر للقلوب وأحفظ للأعراض، لعلكم تتذكرون أوامر الله فتعملوا بها فتنالوا سعادة الدنيا والآخرة.

﴿٢٨﴾ ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾

فإن لم تجدوا في البيوت أحدًا يأذن لكم بالدخول فلا تدخلوها، وإن قال لكم صاحب البيت: ارجعوا فارجعوا ولا تكثروا الإلحاح فالرجوع أطهر لكم؛ لأنه أبعد عن الاطلاع على الأحوال التي يحب الإنسان سترها، والله عليم بكل ما تفعلون، وسوف يحاسبكم على ما تصنعون.

﴿٢٩﴾ ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾

لكن لا إثم عليكم إذا دخلتم بيوتًا عامة ليست لسكنى أناس بذاتهم، بل هي لراحة ومتعة من يرتادها ببعض المسافرين والمنقطعين والمحتاجين، فهذه لا بأس بدخولها بلا مشقة؛ لأنها هُيِّئت للوفود، وفي الاستئذان مشقة والله يعلم كل أحوالكم ما ظهر منها وما خفي.

﴿٣٠﴾ ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾

قل - أيها النبي - للمؤمنين يغضوا من أبصارهم عما يحرم عليهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم عن الوقوع في المحرمات من سائر الفواحش وكشف العورة للأجنبي؛ لأن في هذا طهارة لنفوسهم وحفظًا لأعراضهم، إن الله خبير بكل ما يصنعه العبد، فعليه أن يراقب ربَّه ويخاف مولاه.

﴿٣١﴾ ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

وقل - أيها النبي - للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عما حُرِّم عليهن من النظر إلى العورات، ويحفظن فروجهن عن الحرام، ولا يظهرن زينتهن للرجال، بل يتسترن بالثياب والخمار والجلباب ونحوها مما يغطي جمال المرأة، وعليهن أن يلقين أغطية الرؤوس على الصدور بما في ذلك تغطية الوجوه؛ ليحصل الحجاب، ولا يظهرن الزينة والجمال إلا لأزواجهن؛ لأن للزوج أن يرى من زوجته ما لا يراه غيره، وبعض أعضاء الجسم من المرأة كالوجه والعنق واليدين والساعدين فإنها تجوز رؤيتها من قبل آبائهن وآباء أزواجهن وأبنائهن وأبناء أزواجهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن ونسائهن المسلمات دون الكافرات، أو ملك اليمين من الموالي أو التابعين من الرجال الذين لا شهوة لهم في النساء كالأبله الذي يدخل البيت للطعام والشراب فحسب، أو الأطفال الصغار الذين لا تنبُّه لهم إلى العورات ومفاتن المرأة وليس لهم شهوة، ولا تضرب المرأة عند مشيها برجلها ليُسمع صوت ما خفي من زينتها كالخلخال وغيره، وعودوا - أيها المؤمنون - إلى طاعة الله بامتثال أمره واجتناب نهيه، وتحلوا بالخصال الحميدة والخلال المجيدة، واجتنبوا أفعال الجاهلية من الرذيلة والفاحشة والمنكر، عسى أن تنالوا رضوان الله وجنته ويتغمدكم برحمته.

﴿٣٢﴾ ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾

وزوِّجوا من يريد الزواج من الأحرار والحرائر والصالحين من الموالي والجواري إن كان الذي يريد منهم الزواج يرغب أن يعف نفسه، فإن الله يغنيه من واسع فضله، والله واسع كثير الخير، عام البر، عظيم الفضل، يعلم الأحوال، ويطلع على السرائر.

﴿٣٣﴾ ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

وعلى من لم يستطع الزواج لفقره أو غير ذلك أن يعفَّ نفسه عن الحرام حتى يغنيه الله بالحلال ويسهل له أسباب الزواج، ومن رغب في الحرية من الموالي والإماء بمكاتبة السيد على مالٍ يعطونه إياه فعلى السيد أن يكاتبهم إن علم فيهم خيرًا من صلاح واستطاعة على الكسب، وعلى ساداتهم وغيرهم إعانتهم على المكاتبة بالمال وغيره، ولا يحل للسيد إكراه جاريته على الزنا طلبًا للمال، وكيف يحصل هذا والجارية تريد العفة وسيدها يأبى ذلك؟ وفي هذا نهاية التبكيت والتوبيخ على فعلهم المنكر، ومن أكره جاريته على الزنا فإن الله من بعد إكراهها غفور لها رحيم بها، والذنب على من أكرهها.

﴿٣٤﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

ولقد أنزل الله في القرآن آيات واضحات الدلالة، ظاهرة البرهان على الحق، ومثلاً من قصص السابقين، وموعظة ينتفع بها المتقون ممن يعملون الصالح ويتجنبون السوء.

﴿٣٥﴾ ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

الله نور السموات والأرض يصرف شؤونهما ويهدي من فيهما، فهو - سبحانه - نور وحجابه نور، بنوره استنار من في السموات والأرض، وكتابه نور، ورسوله نور، وهداه نور، فبنوره تنكشف الظلمات، وتشرق الأرض والسموات، وتبصر الكائنات، مثل نور الله الذي يهدي به وهو الإيمان والقرآن في قلب المؤمن مثل الكوة في الحائط غير النافذة وفيها مصباح، حيث تجمع الكوة نور المصباح فلا يتفرق، فيكون قويًا شديد الإضاءة، وهذا المصباح في زجاجة كأنها لشدة صفائها كوكب مضيء كالدر، ووقود المصباح من زيت شجرة مباركة، وهي شجرة الزيتون لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي متوسطة في مكان من الأرض لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، قد اكتمل نماؤها واعتدل ظلها وطابت ثمارها، يوشك زيتها لشدة صفائه أن يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مسَّته النار اشتد توهُّجُه واكتمل ضياؤه، نور على نور، فهو نور من ضوء الزيت على نور من اشتعال النار، فهذا مثل هدى الله الذي يضيء في قلب المؤمن بنور الفطرة ونور الوحي، والله يهدي للإيمان ولفهم القرآن من أراد من عباده، ويضرب الأمثال للناس ليفهموا الأحكام ويفقهوا القضايا، والله عليم بكل ما ظهر وما خفي، وما أُعلن وما أُسر.

﴿٣٦﴾ ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾

هذا النور المشع شديد الإضاءة هو في مساجد أمر الله أن يرفع شأنها وبناؤها بعمار الإيمان والبنيان، ويذكر فيها اسمه وحده بتلاوة القرآن والصلاة والذكر وأنواع العبادة، يُصلَّى لله فيها في الصباح والمساء، ويُكثر من ذكره في هذين الوقتين.

﴿٣٧﴾ ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾

رجال مؤمنون لا تشغلهم التجارة ولا البيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة بخشوعها، وإعطاء الزكاة لمستحقيها، يحذرون أهوال يوم القيامة التي تتقلب بسببها القلوب بين الرجاء في النجاة، والخوف من الهلاك، وتتقلب فيه الأبصار بين طريق الجنة وطريق النار، فاضطربت الأفئدة وزاغت العيون.

﴿٣٨﴾ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

ليثيبهم الله على أحسن الأعمال ويزيدهم من كرمه بأجلِّ النوال، والله يعطي من يشاء من عباده أحسن العطاء، ويجزيه أفضل الجزاء بلا عد ولا حد ولا كيل ولا وزن؛ لأنه الجواد الماجد الذي يعطي على العمل ما لا يبلغه العمل.

﴿٣٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

والذين كفروا بالله وكذبوا أنبياءه أعمالهم في الدنيا التي ظنوا أنها تدفع عنهم عذاب الله كالجود والعتق والصلة تصبح كالسراب، وهو ما يشاهده الإنسان كالماء من بعيد على وجه الأرض في الظهيرة، يظن العطشان أنه ماء، فإذا وصل عنده لم يجده ماءً، فالكافر يظن أن ما قدَّم من أعمال تدفع عنه الأهوال، فإذا قام يوم الحساب لم يجد الثواب بل وجد الله - سبحانه - قد أعدّ له العقاب وشديد العذاب فوفاه جزاء ما فعل، والله سريع الحساب، يحاسب العدد الكثير في الوقت القصير، ولا يتأخر وعده فإنه واقع لا محالة.

﴿٤٠﴾ ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾

أو تصبح أعمال الكفار مثل ظلمات في بحرٍ عميق، من فوقه موج ومن فوق الموج موج آخر، ومن فوقه غمام كثيف، اجتمعت ظلمات كثيرة بعضها أصبح فوق بعض، إذا أخرج الإنسان يده لا يكاد يراها من شدة الظلام، فالكفار تراكمت عليهم الأوزار من الكفر والغواية والظلم والإفساد في الأرض وغيرها من الأعمال القبيحة، ومن لم يجعل الله له نورًا يهديه به من كتابه وسنة رسوله ﷺ فلن يهتدي أبدًا ولن يجد أحدًا يهديه من دون الله.

﴿٤١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسبح له كل من في السموات والأرض من المخلوقات، والطير تسبح في السماء لله - سبحانه - قد صفَّت أجنحتها، كل مخلوق قد علَّمه الله كيف يصلي لمولاه ويذكر ربه ويسبح خالقه على طريقته، وهو - سبحانه - عليم لا تخفى عليه خافية، يعلم عبادة العابد وتسبيح المسبح، لا تغيب عنه غائبة من أعمالهم وسيجازيهم بما عملوا.

﴿٤٢﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

ولله وحده ملك وتصريف وتدبير السموات والأرض، لا ينازعه في الملك أحد، فهو فرد صمد له الحكم المطلق والسلطان العام، إليه المآب، وعليه الحساب.

﴿٤٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾

ألم تنظر إلى السحاب كيف يسوقه الله إلى حيث أراد، ثم يجمعه بعدما تفرَّق، ثم يصيِّره متراكمًا فينزل المطر - بإذن الله - من هذا السحاب المتراكم، وينزل الله من السحاب المتراكم الذي يشبه الجبال في عظمته وضخامته بَرَدًا، فيصيب الله بهذا الغيث الذي نزل من السحاب من أراد من العباد والبلاد ويصرفه عمن أراد بحكمة وتقدير، يكاد ضوء البرق من شدة لمعانه وسط الغمام أن يذهب بأبصار من نظر إليه ويخطفها.

﴿٤٤﴾ ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

ومن براهين قدرة الباري - تعالى - أنه يعاقب بين الليل والنهار، فيأتي بأحدهما بعد الآخر، ويغاير بين مدتهما من حيث الطول والقصر، إن في هذا دلالة واضحة لكل من له بصيرة نيرة على عظمة الملك الحق تعالى.

﴿٤٥﴾ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

والله خلق كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطير وحشرات وغيرها، وأصل خلقها من الماء، فمنها ما يزحف على بطنه كالحيات ونحوها، ومنها ما يمشي على رجلين كالإنسان، ومنها ما يمشي على أربع كالبهائم، والله يخلق ما أراد كما أراد، فهو على كل شيء قادر، لا يعجزه شيء أراده.

﴿٤٦﴾ ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

لقد أنزل الله في القرآن دلائل واضحات وبراهين ساطعات تدل على الهدى، والله يوفق للهداية من أراد من العباد فيدلهم على الرشاد.

﴿٤٧﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

ويدَّعي المنافقون كذبًا أنهم آمنوا بالله وصدقوا رسوله ﷺ وأطاعوا ما شُرع في الكتاب والسنة، ثم تعرض جماعات منهم عن الهدى فتأبى حكم الرسول ﷺ، وليسوا بمؤمنين كما زعموا، فالإيمان يقتضي الطاعة والمتابعة.

﴿٤٨﴾ ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

وإذا طُلب من المنافقين التحاكم إلى الكتاب والسنة عند الخصومة والاختلاف إذا جماعة منهم تأبى حكم الله وحكم رسوله ﷺ مع أن فيه الحق والعدل.

﴿٤٩﴾ ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾

وإذا كان الحق لهم وتأكدوا من كسب القضية أذعنوا للتحاكم للكتاب والسنة وانقادوا للشرع؛ لأن مصلحتهم تقتضي ذلك.

﴿٥٠﴾ ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

هل سبب الإعراض عن الشرع ما في قلوب المنافقين من الريبة والنفاق، أم شكوا في رسالة النبي المعصوم - عليه الصلاة والسلام-، أم أنهم خافوا من الجور والظلم إذا تحاكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كلا، فهم يعلمون أن العدل كله في الشرع، لكن لأنهم ظلمة فجار يتبعون الهوى.

﴿٥١﴾ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

أَدَبُ المؤمنين الصادقين وعادتهم إذا دُعوا إلى التحاكم عند الخصومة إلى الكتاب والسنة أن يذعنوا لحكم الشرع ولا يعترضوا، ويقولوا: سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا إلى ذلك، وهؤلاء هم الذين نالوا الفوز وأدركوا الفلاح في الدنيا والآخرة.

﴿٥٢﴾ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

ومن يطع الله ورسوله فيعمل بالأمر ويجتنب النهي، فهؤلاء يفوزون برضوان الله وجنته.

﴿٥٣﴾ ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

أقسم أهل النفاق بالله مجتهدين في اليمين، مؤكدين قسمهم بأغلظ الأيمان: لئن أمرهم الرسول ﷺ بالخروج معه للجهاد في سبيل الله ليخرجنَّ، قل لهم - أيها النبي -: لا تحلفوا فأنتم كاذبون، فطاعتكم معروفة أنها بالقول لا بالعمل، إن الله خبير بأعمالكم وأحوالكم ومرجعكم إليه وسوف يحاسبكم عليها.

﴿٥٤﴾ ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾

قل - أيها النبي - أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتثال الكتاب والسنة، فإن أعرضتم عن الامتثال وعصيتم الأمر فقد أدى الرسول ﷺ رسالته وليس عليه إلا البلاغ، فكلٌ عليه فعل ما وجب عليه، وإن تطيعوا الرسول ﷺ تُوفَّقوا للهدى، وليس على الرسول ﷺ إلا البيان الواضح الشافي لرسالة الله - تعالى - أما حساب الناس فعلى الله.

﴿٥٥﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

وعد الله بالنصر والتمكين للمؤمنين الصالحين بأن يجعلهم مستخلفين في الأرض مثلما استخلف - سبحانه - من سبقهم من أهل الإيمان والصلاح، ووعدٌ على الله أن يجعل دين الإسلام دينًا مهيمنًا عزيزًا، وأن يغير خوف عباده إلى أمن متى ما أخلصوا له الطاعة وأفردوه بالعبادة واستقاموا على دينه ولم يشركوا به شيئًا، ومن كفر بعدما أعزه الله ومكَّن له واستخلفه وأمَّنه من الخوف وعصى أمره، فهؤلاء هم الخارجون عن طاعة الله المتجاوزون حدوده.

﴿٥٦﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

وأقيموا - أيها المؤمنون - الصلاة على الوجه الشرعي، وآتوا زكاة أموالكم لمستحقيها، وأطيعوا الرسول ﷺ بامتثال سنته؛ ليدخلكم الله في رحمته التي وسعت كل شيء.

﴿٥٧﴾ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

لا تظنن أن الكفار يُعْجِزون الواحد القهار، فإنه لا يعجزه شيء، فهو قدير على إبادتهم وتدميرهم، ومردهم في الآخرة إلى نار جهنم، وقبح هذا المرد والمرجع ملاذًا ودارًا.

﴿٥٨﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

أيها المؤمنون: مُرُوا مواليكم وأطفالكم دون البلوغ أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول عليكم في أوقات العورات الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت القيام من النوم ولبس الثياب، ووقت القيلولة حين تخلعون ثيابكم للراحة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت الخلود للنوم؛ لأن هذه الأوقات الثلاثة يقل فيها الاحتياط والتستر، أما بقية الأوقات فلا إثم عليكم إذا دخلوا بلا إذن؛ لأنهم يحتاجون إلى الدخول من أجل خدمتكم، ومثلما بيَّن الله أحكام الاستئذان بين لكم الحجج والبراهين وشرائع الدين، والله عليم بمصالح العباد وما ينفعهم وما يضرهم، حكيم في تدبير أمور الخليقة، يشرِّع لهم ما تقوم به حياتهم على أكمل وجه.

﴿٥٩﴾ ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وواجب على أطفالكم إذا بلغوا سن الاحتلام أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا الدخول عليكم في أي وقت مثلما يستأذن الكبار، ومثلما بين الله في كتابه آداب الاستئذان، يبين لكم آياته التي فيها ما يصلحكم؛ لأنه - سبحانه - عليم بما فيه نفعكم، حكيم في صنعه وشرعه وتقديره وتدبيره.

﴿٦٠﴾ ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

والعجائز من النساء التي أقعدهن كبر السن عن الشهوة والاستمتاع وليس لهن رغبة في الزواج، ولا تميل قلوب الرجال إليهن، فلا إثم عليهن أن يتخففن من اللباس كالرداء الذي يكون فوق الثياب ولا يظهرن الزينة، وإذا لبسن الثياب وما يسترهن فوق الثياب عفافًا وسترًا فهو أحسن لهن، والله سميع للأقوال، عليم بالأحوال والأعمال، لا تخفى عليه خافية فراقبوه.

﴿٦١﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

يعذر العميان وذوو العرج والمرض في التخلف عن الجهاد وغيره من الواجبات التي لا يستطيعون القيام بها لوجود هذه العاهات، وليس عليكم - أيها المؤمنون - إثم أن تأكلوا من بيوتكم، أو من بيوت الأبناء وبيوت الآباء والأمهات والإخوان، والأخوات والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، أو من البيوت التي تنوبون عن أصحابها في حفظها، أو بيوت الأصدقاء، ولا إثم عليكم أن تجتمعوا وقت الأكل أو تتفرقوا، فإذا دخلتم بيوتًا فيها سكان أو خالية من السكان فليسلم بعضكم على بعض بتحية الإسلام وهي: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، أو كما رُوي إذا لم يوجد أحد: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، والله شرع هذه التحية وهي مباركة تثمر المحبة والألفة بين المؤمنين، وهي طيبة فيها البِشْرُ والود للسامع، ومثلما بيَّن الله هذه الأحكام يبيِّن لكم معالم الدين وما يصلح دنياكم وأخراكم لتعقلوا هذه الأحكام وتعملوا بها فتنالوا السعادة والفوز في العاجلة والآجلة.

﴿٦٢﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

إنما المؤمنون حقيقة هم الذين أطاعوا الله واتبعوا رسوله ﷺ وعملوا بالكتاب والسنة، وإذا كانوا مع النبي ﷺ على أمرٍ من الأمور التي يلزم اجتماع كلمة المسلمين عليها لم يذهب أحد منهم حتى يستأذن الرسول ﷺ، ولا يفعل ذلك إلا من كان إيمانه بالله ورسوله صادقًا، فإذا استأذنك - أيها الرسول - بعض المسلمين لبعض حاجاتهم فأذن لمن أردت منهم أن يذهب لحاجته، واطلب من الله أن يغفر لهم، فإن الله كثير الغفران لعباده، يعود عليهم بالرحمة والرضوان.

﴿٦٣﴾ ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

لا تنادوا الرسول - أيها المؤمنون - باسمه مجردًا مثل مناداة بعضكم لبعض فتقولوا: يا محمد، ولكن وقِّروه واحترموه - عليه الصلاة والسلام - وبجِّلوه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، والله يعلم أهل النفاق الذين يذهبون على وجه الخفية بلا إذن من الرسول ﷺ يتخفى بعضهم في بعض، فليحذر المخالفون لأمر الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن يصيبهم بلاء أو فتنة في دينهم، وهي الزيغ والانحراف عن الهداية، أو يصيبهم عذاب شديد مؤلم في نار جهنم.

﴿٦٤﴾ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾

ألا إن لله ملك كل ما في السموات والأرض وتعريفه وتدبيره، أحاط علمه بكل شؤونكم الخفية والظاهرة، لا تخفى عليه خافية من أعمالكم وأحوالكم، ويوم يعود الناس إليه يوم الحساب يخبرهم بما عملوا ويجازيهم على ما قدموا، والله بكل شيء عليم، علم السر والجهر، والظاهر والغائب، وأحاط علمه بكل شيء سبحانه.